﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَدَّ ٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنْهَٰرًا ۖ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ
جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ۖ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ
لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِى ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ وَجَنَّٰتٌ مِّنْ
أَعْنَٰبٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَىٰ بِمَآءٍ وَٰحِدٍ
وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِى ٱلْأُكُلِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ
يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ﴾

صدق الله العلي العظيم

سورة الرعد – الآية (٣ - ٤)

الإهـــداء

- إلى ...

- الرحمة المهداة ومصباح النجاة نبينا محمد (صلى الله عليهِ وآلهِ وسلم والائمة الاطهار عليهم السلام) .

- إلى ...

- والديّ الكريمين أطالَ الله في عمرهما .

- إلى ...

- أخوتي وأخواتي

- إلى ...

- من تحمل معي أعباء وهموم هذا البحث من أصدقائي .

- إلى ...

- أساتذتي الأجلاء من ساعدوني في إكمال هذا البحث .

أهدي لهم ثمرت جهدي

الشكر والتقدير

أتقدم بخالص الشكر للأستاذ المشرف (أ . م) حنان فاهم لما بذلته من جهد لتقويم هذا البحث .

ولا يفوتني تقديم الشكر للدكتور صلاح يا ركة ملك لما أبداه من توجيه وإرشاد لإكمال هذا البحث .

كما اشكر كل اساتذتي في قسم الجغرافية ، وأقدم شكري وتقديري لمن مد يد العون في اعداد وإكمال هذا البحث وأخص منهم بالذكر أخي وصديقي جعفر هدل فهران .

الباحث

المحتويات

الموضوع	رقم الصفحة
الآية الكريمة	أ
الإهداء	ب
الشكر والتقدير	ج
المحتويات	د
خلاصة البحث	هـ
المقدمة	
المبحث الأول – الإطار النظري والمفاهيمي	
أولاً – مشكلة البحث	
ثانياً – فرضية البحث	
ثالثاً – منهجية البحث	
رابعاً – حدود الدراسة	
المبحث الثاني – المقدسي وسيرته الذاتية	
أولاً – اسمهُ ونسبه	
ثانياً – ولادتهُ	
ثالثاً – حياتهُ	
رابعاً – حياتهُ العلمية	
المبحث الثالث – المقدسي وآثاره العلمية والجوانب الطبيعية التي ناقشها المقدسي	
أولاً – الحقل الهيدوغرافي	
ثانياً – الحقل المناخي	
ثالثاً – الحقل الجيموفورلوجي	

الجوانب البشرية التي ناقشها المقدسي	
أولاً – الخصائص الديموغرافية	
ثانياً – النشاط الزراعي	
ثالثاً – الصناعة والمعادن	
رابعاً – النقل والتجارة	
ابداعات المقدسي في الجغرافية الإقليمية	
أولاً – المدنية عند المقدسي	
ثانياً – معايير التقسيم	
الخرائط عند المقدسي	
الخاتمة	
المصادر	

خلاصة البحث

أن مفهوم الجغرافية بجوانبها المختلفة (طبيعية – بشرية – إقليمية) وكذلك تطور الفكر الجغرافي العربي الإسلامي كان نتيجة جهود علماء أجلاء عدة ساهموا في تطور ونضوج هذا المفهوم ، وكان لعلماء القرن التاسع عشر دورهم البارز في تطور الفكر الجغرافي ، ومن الملاحظ أن مفهوم الجغرافية الإقليمية ترجع بأصولها إلى العلماء العرب المسلمين الذي تميزت كتاباتهم بالطابع الإقليمي بالرغم من عدم وضوح فكرة الإقليم لديهم ، فكانت جهود أصحاب المدرسة الكلاسيكية واضحة في هذا المجال وكان لآراء المقدسي آخر رواد هذهِ المدرسة ولمنهجه الذي اتبعه دوره في إرساء هذا المفهوم فكانت إضافاته تتسم بالتفرد والإصالة ، فضمت كتاباته في مضمونها أغلب فروع الجغرافية والتي تم دراستها في إطار إقليمي ، كما أن طريقتهِ في جمع معلوماته النظرية والميدانية اتسمت بطابعها العلمي ، فضلاً عن إضافاتهِ التي ابدع بها والتقسيمات التي ابتكرها .

كذلك أن المقدسي كان من السباقين في حقل الجغرافية الإقليمية وتميز بأسلوبه وطابعه الأصيل كما أن إضافاته سجلت لهُ ابداعاً قل نظيرهُ في هذا الحقل .

جمهورية العراق
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة القادسية / كلية الآداب
قسم الجغرافية

المقدسي وأثره في الفكر الجغرافي

بحث تقدم بهِ الطالب

هشام حسون عبد علي

إلى مجلس كلية الآداب في جامعة القادسية وهو جزء من متطلبات
نيل شهادة البكالوريوس آداب في الجغرافية

بإشراف

أ . م . حنان فاهم الصالحي

١٤٣٨ هـ ٢٠١٧ م

المقدمة

أن تطور مفهوم الجغرافية ولاسيما الجغرافية (الإقليمية) كان قد بدأ أولى خطواته بداية القرن الثالث الهجري – التاسع الميلادي ، ثم شهد نضوجاً في أواسط ونهاية القرن ، إلا أن الجغرافية في هذهِ المرحلة كانت اميل إلى الوصف الطبوغرافي لأن المسلمين كانوا قد افتتنوا بهذا النمط من الوصف ، وما أن بدأ القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي حتى شهدت الجغرافية نضوجاً وتطوراً كبيراً تمثل في كتابات كل من الهمداني والمسعودي ، تلا ذلك نمط فريد في الجغرافية مثلهُ رواد المدرسة الكلاسيكية أمثال البلخي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي .

فظهرت التقسيمات الإقليمية والإدارية والسياسية التي اهملت الخطوط الفلكية والأخذ بها في تحديد الأماكن للمدن وتحديد الأقاليم الفلكية المناخية العرضية .

واختتمت هذهِ المدرسة وهذا القرن بعالم جليل كان لهُ ولمنهجه الأثر الكبير في تثبيت مفهوم الجغرافية الإقليمية إلا وهو المقدسي (مدار البحث) .

وكان تطور هذا المفهوم نتيجة لإضافاته وطريقة تعامله مع المفردات الجغرافية الإقليمية .

ثانياً – فرضية البحث :

بما أن الفرضية عبارة عن حل مؤقت اولي لمشكلة البحث فقد حددت فرضية البحث بأن للمقدسي قصب السبق في الجغرافية الإقليمية ، حيث كان لهُ قصب السبق في الريادة ولمنهجه الأثر الكبير في الإنجاز العلمي (وبشكل خاص في الجغرافيا الإقليمية) ،

ومحاولة إثبات قدر المستطاع الحضارة الغربية لم تكن وليدة نفسها أو امتداد للحضارة اليونانية والرومانية ، بل أنها استلهمت من التراث العلمي العربي مادتها لتحقيق ما وصلت إليه .

ثالثاً – منهجية البحث :

لتحقيق هدف البحث بما ينسجم مع المشكلة والفرضية تم اعتماد المنهج الاستقرائي المقارن منهجاً اساسياً في هذهِ الدراسة حيث سيتم دراسة وتحليل كتاب احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم في ضوء الدراسات المعاصرة ومن ثم مقارنة خرائطه مع الحاضر قدر المستطاع من اجل إعطاء صورة عن مدى إبداع المقدسي في ما ذهب إليه ، لقد تم اعتماد البحث على كتاب احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم مرجعاً اساسياً لدراسته باعتباره كتاب المقدسي الرئيسي والوحيد الذي تناول العالم الإسلامي الذي اطلق عليه المقدسي تسمية ((مملكة الإسلام)) والتي تعني العالم الإسلامي .

رابعاً – حدود الدراسة :

يمكن تحديد حدود الدراسة بثلاثة ابعاد رئيسة وهذه الابعاد تتمثل بما يأتي :

أولاً – البعد النظري : متمثل في كتاب ((احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)) الذي هو مدار البحث .

ثانياً – البعد الزماني : إذ يشكل القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي مجالاً لدراسة الجغرافية والتي فيها عاش المقدسي وفيها اخرج كتابهِ .

ثالثاً – البعد المكاني : متمثلاً في العالم الإسلامي الذي كان يمثل وحدة الزمن للمقدسي والذي أسماه (مملكة الإسلام) .

المبحث الثاني

المقدسي وسيرته الذاتية

أولاً – أسمهُ ونسبه :

هو شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد بن ابي بكر البناء الشامس ، ويقال لهُ البشاري المعروف بالمقدسي ، عالم عربي مسلم كان جده ممن ساهموا في بناء ميناء عكا في عهد ابن طولون ، أما ابيه فكان من المهتمين بفنون العمارة والتجارة أما أمهُ فتنتمي لعائلة من قرية بير من اعمال تومس في إقليم الديلم على الحدود الغربية لخراسان ، لذلك كان المقدسي متقناً للفارسية وقد ساعده ذلك في نجاح مهماته في معظم أقاليم الشرق[١] .

يعد من افضل الجغرافيين العالمين لما قدمهُ من معلومات لخدمة الجغرافية بشكل عام والجغرافية بشكل خاص ، كذلك يعد من افضل الجغرافيين الذين وضعوا أسس التقسيم الإقليمي للأقاليم العربية أو مملكة الإسلام في العصور الوسطى[٢] .

ثانياً – ولادته :

ولد المقدسي ، شمس الدين أبو عبد الله عام ٣٣٥ هـ الموافق ٩٤٧ م في بيت المقدس (القدس) في فلسطين ، نشأ هناك وترعرع فيها حيث كانت القدس مسقط رأسه وملعب اترابه وفيها صلب عوده وتعلم فيها أصول القراءة والكتابة وحفظ القرآن وخالط

---

[١] إبراهيم احمد سعيد ، اسهامات المقدسي في الجغرافية الإقليمية ، مجلة الدراسات التاريخية ، العددان ١١٧ – ١١٨ ، دمشق ، سوريا ، ٢٠١٢ ، ص١٤٣ .

[٢] كمال عبد الله حسن ، أصالة الجغرافية الإقليمية عند المقدسي ، جامعة المستنصرية ، رسالة دكتوراه (كلية التربية) ، ٢٠٠٦ ، ص٣٠ .

العلماء والفقهاء وجالس الحكماء واهل العلم وانطلق نحو عالم المعرفة . وقد امتهن التجارة التي فرضت عليه الترحال والتجوال فقد طاف في البلاد الإسلامية وتعرف على طريقها وكان الولع بالرحلات من صفات العرب وهو من الصفات أو الخصائص التي خلفوا بها اعمق ما يكون من الأثر في التاريخ والحضارة .

وقد طاف المقدسي اكثر بلاد الشام من خلال رحلاته التجارية واسفاره التي شجعت لهُ وهيأت المعرفة بغوامض أحوال البلاد[١] .

توفي المقدسي سنة ٣٩٠ هت الموافق (١٠٠٠م) وبذلك يكون عمره (٥٥) سنة هجرية ونحو (٥٣) سنة ميلادية ، وهذا يعني أنهُ توفي في قمة عطاءه العلمي مما جعل موته خسارة كبيرة في علم الجغرافية بشكل خاص والمعرفة والمعلومات بشكل عام ولاسيما في الجغرافية الإقليمية .

حيث قال المستشرق (غلد مسيز)) عنهُ امتاز المقدسي عن سائر علماء البلدان بكثرة ملاحظاته وسعة نظرهُ .

وقال ((سيونغر)) لم يتجول سائح في البلد كما تجول المقدسي ولم ينبه أحد أو يحسن ترتيب ما عمل بهِ مثله[٢] .

---

[١] صباح محمود محمد ، دراسات في التراث الجغرافي العربي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ، ١٩٨١ ، ص٤٣.

[٢] كمال عبد الله حسن ، أصالة الجغرافية الإقليمية عند المقدسي ، مصدر سابق ، ص٣٥ .

ثالثاً – حياتهُ :

أرتحل المقدسي في شبابه الأولى إلى العراق بعد أن تعلم أصول القراءة والكتابة وحفظ القرآن الكريم في القدس في فلسطين ، وفي العراق انطلق نحو عالم المعرفة كذلك من خلال مخالطة العلماء والفقهاء واهل العلم وكذلك من خلال الجلوس في المساجد والجوامع وبيوت العلم ومن ثم التنقل بين المكتبات العلمية الكبيرة والاطلاع على الكتب والمصنفات والمراجع والمجلات في العلوم المختلفة .

ويبدو أن شغفه كان كبيراً بالبناء والعمران ويظهر ذلك من خلال اهتمامه بالجانب المعماري ولعل ذلك يعود إلى طفولته التي عاش فيها في كنف والده وجده الذين كانا مهمين بالبناء والعمارة[١] ، وهو في تجواله هذا وتنقله قد ذاق مرارة الحياة وحلاوتها فقد طرد في الليالي من الجوامع والمساجد وقدم السلاطين والقضاة ومشى في السمائم والثلوج ورمي بالبدع ذلك هو العالم الفطحل المقدسي[٢] .

رابعاً – حياته العلمية :

لقد درس المقدسي على يد القاضي أبي الحسن القزويني ودرس الفقه في العراق وراح المقدسي يتجول في البلدان ويدخل الأقاليم الإسلامية فالتقى بالعلماء ودرس على يد الفقهاء واختلف إلى الادباء وقراء الكتب وخالط الزهاد والمتصوفين والقضاة والمذكرين[٣].

---

[١] إبراهيم أحمد سعيد ، اسهامات المقدسي في الجغرافية الإقليمية ، مصدر سابق ، ص١٥٥ .

[٢] صباح محمود محمد ، دراسات في التراث العربي الجغرافي ، مصدر سابق ، ص٤٤ .

[٣] شمس الدين أبو عبد الله المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بيروت – لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٥ ، ص .

وتميز بأنهُ قد تعلم تعليماً ممتازاً على يد هؤلاء العلماء والفقهاء وبعد أن أدى فريضة الحج في مكة المكرمة وهو في العشرين من عمره قدر أن يكرس جهده لدراسة الجغرافية ، حيث قام المقدسي بعده رحلات استغرقت اكثر من عشرين عاماً وذلك للحصول على البيانات اللازمة للدراسة ولقد سمى كتابه ((أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)) بكتاب الرحلات .

وبدأ المقدسي في عام ٣٧٥ هـ الموافق ٩٨٥م بتأليف كتابه الذي يحمله عنوان ((أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)) الذي اهداه إلى العالم للاستفادة منهُ والتزود بمعلوماته الرصينة والواسعة فهو عبارة عن موسوعة من المعلومات الجغرافية ، وعلى أساس هذا الكتاب قد قسم الدول الإسلامية إلى أقاليم متعددة على أسس مستقلة إلا أن جمع المادة الجغرافية ومعالجة المواضيع كان على طريقة الاصطخري وابن حوقل وتحمله خرائط المقدس شيئاً من خرائط الاصطخري[١] .

تمكن المقدسي من رصد العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري بشكل دقيق وحي ويرى العالم بلاشيس : أن كتاب المقدسي أساسي لمعرفة العالم الإسلامي في القرن الرابع الهجري ، العاشر الميلادي ، ونظراً لما كان يتمتع بهِ العالم المقدسي من حب استطلاع يقظ دوماً ، ومن روح تسامح فريدة تماماً ، وبقدرة على الفهم نادرة ، فقد تنجم عن كل هذهِ المزايا المذكورة أن أصبح كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) وصفاً بديعاً للعالم كما رأه في تعقيده الحي)) سيتبين فيما بعد أن المقدسي كان مبدعاً في الجغرافية وفي منهج الدراسات الجغرافية في البعدين العمراني والاقتصادي . وعلى الرغم من أنهُ درس ما قدمه الجغرافيون الذين سبقوه كأبن خرداذبة والبلخي والهمداني إلا أنهُ وجه إليهم النقد ورفض مناهجهم رفضاً قاطعاً وسجل كتابه في إطار المنهج الأفضل

---

[١] إبراهيم احمد سعيد ، اسهامات المقدسي في الجغرافية الإقليمية ، مصدر سابق ، ص١٥٠ .

الذي ابتكره . ولم يكن المقدسي يؤمن بتقسيم الجغرافية إلى فرعين رئيسيين : الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ، إلا أنهُ يمكن استشراف ذلك في كتابه ولكن ضمن ما يعرف بالدراسة الإقليمية وليس خارجها[١] .

لقد مثل المقدسي مرحلة النضج في الجغرافية العربية الإسلامية (وهو يدخل ضمن مرحلة الابداع) ويراه بعض الجغرافيين العالمين بأنه أفضل جغرافي على مر العصور فيقول سيرنجر ((أن المقدسي هو أكبر جغرافي عرفته البشرية قاطبة ولم يسبقه شخص في اتساع مجال اسفاره وعمق ملاحظاته واخضاعه المادة التي جمعها لصياغة منظمة)) .

وهذا ما سيطر بالفعل عند الحديث عن منهجه في الوصول إلى المعلومة الجغرافية وفي تصنيفها والاعتماد عليها . وكذلك بين الجغرافي المشهور (كرايمرز) بأن المقدسي : "أكثر الجغرافيين اصالة" فالمقدسي كان شغفه الأساسي وربما الوحيد هو الجغرافية التي أعطاها جل وقتهُ وحبه واسفاره وعمله حيث خاطر بحياته مرات عدة مما اضطر لتغير امسه بين إقليم وإقليم اخر ليضمن سلامته أولاً وليتمكن من الوصول إلى المعلومة المراد الحصول عليها ثانياً وقد زادت القابه عن الثلاثين لقباً[٢] .

كذلك اعتمد المقدسي في دراسته على المصادر التالية : الدراسة الميدانية (أحدهما ما عايناه) ، والمقابلات (والثاني ما سمعناه من الثقات) ، والمكتبات والثالث ما وجدناه في الكتب المصنفة ، وحدد المقدسي اهداف دراسته للإقليم بجملة اهداف وكما يأتي :

١- اظهار شخصية الإقليم .

٢- التعرف على الخصائص الطبيعية والبشرية والاقتصادية .

---

[١] المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، مصدر سابق ، ص٢٠ .

[٢] إبراهيم أحمد سعيد ، اسهامات المقدسي في الجغرافية الإقليمية ، مصدر سابق ، ص١٦٠ .

٣- التعرف على الطرق والمسالك والمسافات بين المدن .

٤- التعرف على الاضرحة والمساجد والمشاهد التأريخية المشهورة .

ولخص المقدسي جوانب دراسته عن الأقاليم بالجانب الوصفي والبنيوي والوظيفي وركز على العلاقات التي درسها[١] .

وقد حاول المقدسي شأنهُ في ذلك شأن الاصطخري وأن حوقل أن يحسنوا من الطريقة القديمة في الجغرافية الإقليمية – الطبيعية ، على أساس الأقاليم السبعة ولذا فبدلاً من الاعتماد عليها كأساس للدراسة فقد اختاروا الأقاليم الأصغر والدول الأصغر والولايات والمقاطعات كوحدات جغرافية ، وكان الإقليم عنده ينقسم إلى اقسام أصغر على أساس القبائل أو طبيعة البلاد أو مناخها فيقسم المقدسي البلاد تبعاً للقبائل الموجودة فيها وفي بعض الأحيان يأخذ طبيعة البلاد كأساس للتقسيمات الثانوية كما هو الحال بالنسبة لبلاد الشام التي يقسمها في كتابه إلى أربعة نطاقات[٢] .

وقد قام المقدسي بتقسيم الأقاليم الإسلامية ووصف ما فيها من المفارز والبحار والبحيرات والانهاء ووصف الامصار المشهورة ومدنها المذكورة ومنازلها المسلوكة وطرقها المستعملة والعقاقير والآلات والمعادن والتجارات واختلاف اهل البلدان في كلامهم واصواتهم ونقودهم وكذلك طعامهم وشرابهم ومياههم ، ومعرفة مفاخرهم وعيوبهم وما يحمل من عمدهم واليهم ، وعدد المنازل والمسافات والسهول والجبال والوديان ومعادن الخصيب[٣] .

---

[١] إبراهيم احمد سعيد ، مصدر سابق ، ص١٦٠ .

[٢] المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، المصدر السابق ، ص٢٠ .

[٣] المقدسي ، المصدر نفسه ، ص٢٠ .

لقد اسهم الجغرافيون العرب في تطور الفكر الجغرافي العالمي وارسوا أسسه المتينة وابتكروا مناهج جديدة في الدراسات الجغرافية لازالت حتى الآن تستخدم في كل الجامعات العالمية ، ولعل من اهم المناهج المبتكرة والتي تشكل أساس معظم الدراسات الجغرافية ، وهو المنهج الإقليمي الذي يعد من اهم المناهج في الجغرافية لأن المجال العلمي الذي يغطيه في الجغرافية وهو صلب الجغرافية الحديثة واهم مجالاتها التطبيقية والعلمية والتخطيطية[١] .

لقد مثل المقدسي بكتابه (احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) مرحلة مهمة في تطور الجغرافية العربية إلى مراحل مميزة مترابطة تكمل بعضها البعض وتعتمد على بعضها البعض ، ففي المرحلة الأولى أو مرحلة التأسيس اهتمت الجغرافية بالملاحظة والتسجيل والتبويب والوصف وإنتاج الخرائط والاهتمام بالسكان والعادات والعناصر الطبيعية الكبيرة كالجبال والصحارى والبحار[٢] .

ففي المرحلة الأولى والتي يمثلها اليعقوبي ، وابن خرداذية ، أما المرحلة الثانية وهي مرحلة النضج في الدراسات الجغرافية ويمثلها اعلام كثيرون مثل : الاصطخري والبلخي والهمداني والمسعودي ، وابن حوقل ، والبغدادي ، ويترأس هذهِ المرحلة عالمنا الجليل محمد بن أحمد المقدسي وتأتي المرحلة الثالثة وهي مرحلة الابداع في الجغرافية العربية والتي يمثلها البروني ، والادريسي ، وابن الشاطر الدمشقي ، ولكن للمقدسي مكانة متميزة في الجغرافية العربية لم يجاديه فيما ابدعه أحد من الجغرافيين لا من العرب ولا من غير العرب ، في العصور الوسطى والحديثة وخاصةً فيما ابدعه في دراسة الإقليم وما وضعه من أسس في الدراسة الإقليمية أو في المنهج الإقليمي في الدراسات الجغرافية العربية والعالمية[٣] .

---

[١] كمال عبد الله حسن ، اصالة الجغرافية الإقليمية عند المقدسي ، مصدر سابق ، ص٣٥ .

[٢] إبراهيم احمد سعيد ، اسهامات المقدسي في الجغرافية الإقليمية ، مصدر سابق ، ص١٦٥ .

[٣] إبراهيم أحمد سعيد ، اسهامات المقدسي في الجغرافية الإقليمية ، مصدر سابق ، ص١٦٠ .

المبحث الثالث

المقدسي وآثاره العلمية

- أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم :

في سنة ٣٧٥ هـ - ٩٨٥م وفي مدينة شيراز مصر إقليم فارس وفي سن الأربعين من عمره (المقدسي) أهدى المقدسي للعالم الإسلامي عامة وللجغرافيين خاصة كتاباً قيماً كان لهً شأن كبير في وقتهِ وزمننا الحاضر فهو دراسة قيمة في الجغرافية الإقليمية التأريخية للعالم الإسلامية وفي ذلك يقول المقدسي ((لم أظهره حتى بلغت الأربعين ووطئت الأقاليم وخدمت اهل العلم والدين ، واتفق وفاء ذلك بمصر فارس في دولة امير المؤمنين أبي بكر عبد الله الطائع لله ، سنة ٣٧٥ هـ))[١] ، وعلى الرغم من أن هذا الكتاب ينتمي إلى المدرسة الكلاسيكية في التأليف الجغرافي التي ضمت كل من البلخي والاصطخري وابن حوقل والمقدسي ، إلا أن الكتاب من حيث ارتباط بهذهِ المدرسة يتمثل في الخارطات اكثر مما في المتن نفسه[٢] ، فقد جاء هذا الكتاب بثوابت ميزته عن كتب الجغرافية التي سبقته وهذهِ الإضافة أعطته الاصالة التي يتمتع بها في الجغرافية والتي أفردتهُ عن الكتب الجغرافية الأخرى ، وهذهِ الميزة تتمثل في الخطة العلمية المدروسة التي سار عليها المقدسي في التأليف ، والمقدسي في كتابه الزم نفسه بمنهجية معينة سار عليها ولم يحد عنها كما في الكتب التي سبقته والتي كانت رغم ما تلم بهِ من معلومات قيمة إلا أنها كانت تسير على نهج يمكن اعتباره عشوائياً في الترتيب والتصنيف .

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١١ .

[٢] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١٤ .

وبهذا نلاحظ أن المقدسي يسير على منهجية علمية صحية تسبر عليها الدراسات الحديثة حالياً حيث يعد كتابه نموذجاً للكتاب العلمي المرتب المنظم المبوب المقسم فهو يبدأ بمقدمة طويلة يعرض فيها سبب تأليفه للكتاب وما عاناه في سبيل إخراجه وما تم لهُ خلال مدة جمعه ومن ثم يقدم نقداً صريحاً لما سبقه من الشيوخ في هذا المنهج ، يتبعه توضيح بعض المعاني المستخدمة ذات الغموض ومن ثم تحديد مكان الدراسة ، يليه ذكر الأنهار والبحار[١] . وبعد ذلك يذكر المبيعات المتشابهة لفظاً والمختلفة وقعاً حتى لا يحدث لبس للقارئ بسبب التشابه في هذهِ الأسماء وهنا تأتي عبقرية المقدسي إذ يتكلم في إقليم بلسان قومه ويناظر على طريقتهم فيتكلم اللغة العربية الفصحى في إقليم المشرق لأنهم اصح الناس عربية وركاكة كلامه في مصر والمغرب وقبحة في البطائح لأنه لسان القوم ، وهو يشير إلى أن قصده هو الانهاء والتعريف وليس المبارزة والتشفيف ، وهذهِ العبقرية تبرز في أربعة مواضع أخرى أولها – ذكر الخصائص المميزة لكل إقليم من الأقاليم وما يشتهر به دون الأقاليم الأخرى وثانياً – ذكر المذاهب والذمم في كل إقليم من أقاليم مملكة الإسلام معطياً مقدمة عن هذا الموضوع ومفصلاً أياه في كل إقليم من الأقاليم وثالثاً – افراد باباً ذاكراً فيه المواضيع المختلف فيها بشأن الصحة ومن ثم يتحان ذكرها ورابعاً أفرادهُ باباً خاصاً اختصر للفقهاء وذوي العقول يعد بمثابة خلاصة الكتاب . بعد ذلك يذكر الأقاليم السبعة[٢] .

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١٤ .

[٢] صباح محمود محمد ، دراسات في التراث الجغرافي العربي ، ١٩٨١ ، ص٤٤ .

الجوانب الطبيعية التي ناقشها المقدسي :

الجغرافية موضوع متعدد الجوانب ومتنوع المداخل ، يتناول بالدراسة مختلف الظواهر الطبيعية والبشرية على سطح الأرض ، فيوزعها ويحلل ما بيها من علاقات متبادلة ، ويسعى إلى فهم ما يشأ عن هذهِ الظواهر من اختلاف مكاني حتى يتعرف على الأقاليم التي سيتم كل منها بخصائص مميزة ، وهي في تناولها لهذهِ الظواهر تقسم إلى الجغرافية الأصولية أو العامة والجغرافية الإقليمية ، مع الأخذ بالحسبان أن هذا التقسيم هو لأغراض الدراسة وتسهيل مناهج البحث وإلا فأنها علم موحد ، أن هذهِ المقدمة تهدف إلى توضيح غرض اسمى وهو توضيح بعض ما يحتويه كتاب ((احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم)) والذي يمثل موسوعة بحق ما يحتويه من معلومات ، شملت كافة الجوانب في الأقاليم المدروسة من بحار وانهار وامطار وثلوج وجبال ومسافات وتجارات وصناعات ومزروعات وأجناس ولغات وعادات وتقاليد ورسوم وأديان ومذاهب وغيرها ، وهي تمثل جميع الجوانب الجغرافية الحديثة لذلك فنحن بحاجة إلى أن نقسمه إلى فرعي الجغرافية الطبيعية والبشرية والتي تمثل الجغرافية الأصولية[١] . وعلى الرغم من أن المقدسي في كتابه كان يجنح إلى الجانب البشري اكثر منهُ إلى الجانب الطبيعي إلا أنهُ أمدنا بمعلومات جيدة عن الظواهر الطبيعية التي أبصرها أو حس بها كالبحار والانهار وعناصر المناخ والطوبغرافيا والجيموفولوجيا والتي حاول ابرازها في كل إقليم على حدة بحسب دراسته الاقليمية[٢] .

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٤٧ .

[٢] صباح محمود محمد ، المصدر السابق ، ص٤٦ .

أولاً – الحقل الهيدروغرافي :

لقد ضرب العرب سهماً بعيداً في هذا الميدان إذ تدين الجغرافية الوسيطة للجغرافيين العرب في تراثها بمعلومات واسعة عن البحار والمحيطات في العالم القديم . ولقد فاقت تلك المعلومات ما ورد في كتب الجغرافية اليونانية والرومانية في هذا الموضوع ، ومن بين هؤلاء العلماء العرب المقدسي الذي أعطى وصفاً شاملاً وواسعاً للبحار والانهار مع محاولة جادة في تفسير بعض الظواهر الطبيعية التي نشأ في البحار كما أن حين صورها ، ميزها بألوان خاصة ((يقول وجعلنا بحارها المالحة بالخضرة وانهارها المعروفة بالرزقة))[١] ، كما أنهُ صنف المياه في الأقاليم الإسلامية إلى عدة أنواع بحسب تجربته الخاصة .

أ- جغرافية البحار :

أن المقدسي كغيره من الجغرافيين العرب المسلمين اهتم بالدرجة الأساس بيان وامتداد وسعة هذه البحار ومدى مجاورتها لمملكة الإسلام إلا أن المقدسي اعتمد على الجانب الديني في توضيح جغرافية البحار ولذلك فأنه أمن بأن هناك بحرين فقط رئيسيين يقول ((أعلم أن لم تر في الإسلام إلا بحرين))[٢] . ودليله على ذلك الآية الكريمة ﴿مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ يَلۡتَقِيَانِ ١٩ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٞ لَّا يَبۡغِيَانِ ٢٠ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ٢١ يَخۡرُجُ مِنۡهُمَا ٱللُّؤۡلُؤُ وَٱلۡمَرۡجَانُ ٢٢﴾ [٣] وهذان البحران هما البحر الصيني (المحيط الهندي) والبحر الرومي (البحر المتوسط)

---

[١] المقدسي ، المصدر السابق ، ص١٦ .

[٢] المقدسي ، المصدر نفسه ، ص١٦ .

[٣] القرآن الكريم ، سورة الرحمن ، الآيات (١٩ – ٢٢) .

، ورغم معرفة المقدسي للمحيط إلا أنهُ لم يدخله في جملة البحار بحسب قوله ((مستدير بالعالم كالحقلة لا يعرف لهُ غاية ولا نهاية)) .

وبذلك فهو خالف البلخي الذي جعل البحار ثلاثة بإضافة المحيط إلى الصيني والرومي ، وخالف أيضاً الجيهاني الذي جعلها خمسة بحار بإضافة بحر الحزر (قزوين) وخليج القسطنطينية .

١- البحر الصيني (الهندي) :

(يخرج من نحو مشارف الشتاء بين بلد الصين وبلد السودان فإذا بلغ مملكة الإسلام دار على جزيرة العرب كما مثلناه ولهُ خلجان كثرة وشعب عدة)[١] . وبذلك يحدد لنا المقدسي الحدود الشرقية والغربية والشمالية للمحيط الهندي تاركاً الحدود الجنوبية لعدم معرفته بها[٢] .

أما وصف المحيط الهندي عند المقدسي ، فأنهُ يشير إلى أنهُ قد اختلف في شكله ((فمنهم من جعله شبه طيلسان يدور ببلد الصين والحبسة وطرق بالقلزم (البحر الأحمر) وطرف بعبادان . وجعله البلخي شبهة منقار طير بالقلزم ، إلا أن المقدسي لم يقنع بما رأه لأن كل منهما يختلف عن الاخر كما ذكرت خلجان وتشعبات لم يعرفها المقدسي لذلك فأنه أثر أن يتحقق بنفسه ، لذلك سافر فيه نحو الفي فرسخ (٦٠٠٠) ميل دار فيها على الجزيرة كلها من القلزم إلى عبادى سوى ما توهمت به المراكب خلال رحلاتهم ، كما أنهُ أخذ من الناس الذين هم أعرف بهِ وهم مشايخ البحر والتجار ، ويؤكد المقدسي أنهَ يدور على ثلاثة ارباع جزيرة العرب ، وأن لهُ لسانين من نحو مصر يفترقان على طرف

---

[١] المقدسي ، المصدر السابق ، ص١٦ .

[٢] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٤٨ .

الحجاز بموضع يسمى فاران وهما خليجي السويس والعقبة اليوم اللذان يشكلان الطرف الشمالي من البحر الاحمر[١] .

أما عرض المنطقة فيه فهي بين عدن وعمان حيث يعيد اتساعه (٦٠٠ فرسخ) أي حوالي ١٨٠٠ ميل ومن ثم يعود ليصبح لسان إلى عبادان وهو الخليج العربي .

أما التضاريس البحرية فيشير المقدسي إلى المناطق الضحلة التي تصبح فيها حركة السفن والملاحة صعبة وهي ابتداء من الجزء الشمالي من البحر الأحمر إلى عدة مناطق أخرى على طول القلزم .

أما المناطق التي تكون صعبة الملاحة بسبب الريح فهي فاران ((فاران موضع تهب فيه الريح من مصر والشام متحاذيان وفيه هلاك المراكب ومن رسمهم أن يبعثوا رجالاً يراقبون الريح فإذا سكتت الرياح أو غلبت التي هم من نحوها ساروا وإلا أقاموا لمدة طويلة إلى وقت الفرج[٢] . ومن ثم يلتفت المقدسي إلى ظاهرة مهمة جداً وهي ظاهرة المد والجزر يقول ((ولهذا البحر الصيني زيادات في وسط الشهر وأطرافه وفي كل يوم وليلة مرتين ومنهُ جزر البصرة ومدها إذا زاد دفع دجلة فأنقلبت في افواه الأنهار وسفن الضياع فإذا نقص جزر الماء))[٣] .

ويشير إلى أهمية المد والجزر في مدينة البصرة في سقي البساتين على شاطئ العرب ، إلا أنهُ لم يوفق في تفسير هذهِ الظاهرة حيث لجأ إلى تفسيرات الطابع الجغرافي أو الديني ، أما جزر الجر فيشير إلى أنها لا تحصى إلا أنهُ يذكر منها جزيرة الصلاب في

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٤٩ .

[٢] المقدسي ، المصدر السابق ، ص١٨ .

[٣] المصدر نفسه ، ص١٩ .

البحر الأحمر وجزيرة سرنديب في بحر هركند ((خليج البقال)) وجزيرة الكلب ، وجزيرة الرامي ، وجزرية اسقوطرة[١] .

٢- البحر الرومي (المتوسط) :

يشير المقدسي إلى خروجه من جهة الغرب بين السويس الأقصى في المغرب والاندلس في اسبانيا وهو يخرج من المحيط عريضاً ثم ينخرط في مضيق جبل طارق ثم يعود ويشع ويعظم على تخوم الشام[٢] .

ويذكر المقدسي أن أهالي طنجة (على الساحل الغربي) يتفقون أنهُ عند معابر الاندلس (مضيق جبل طارق) (إذا عاينت التير تراء لك الأخر)[٣] ، وهذا حجم خصوصاً إذا علمنا أن طول المضيق (٣٢) كيلاً وعرضه في أوسع نقطة (٢٤) ميلاً واضيق نقطة فيه (٧.٥) ميل ، ويذهب المقدسي إلى ما ذهب إليه ابن الفقيه في أن طول البحر الرومي الديوري (٢٥٠٠) فرسخ أي ما يعادل (٧٥٠٠) ميل من انطاكية على الساحل الشمالي الشرقي إلى جزائر السعادة في بحر الظلمات عند مدخل معابر الاندلس وعرضه في مكان (٥٠٠) فرسخ أي ما يعادل (١٥٠٠) ميل وفي مكان (٢٠٠) فرسخ أي ما يعادل (٦٠٠) ميل ، حيث يكون طول البحر (٣٢٠٠) ميل على خط مستقيم يمتد من بيروت إلى مضيق جبل طارق أما إتساعه متباين بين (٨١٤) ميل بين المضايق وميناء بور سعيد و(٤١٠) ميل بين مرسليا وبجايا في الجزائر[٤] .

---

[١] المصدر نفسه ، ص١٩ .

[٢] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٥٢ .

[٣] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

[٤] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٥٤ .

ويؤكد المقدسي هنا اعتماده على المشاهدة الشخصية والسؤال حيث يشير إلى أن الروم واهل اصقلية هم أخبر الناس بهذا البحر وحدوده وخلجانه ، لأنهم يسافرون فيه ويغزون فيه .

أما جزر البحر فيشير إليها المقدسي أنها (١٦٢) جزيرة إلا أن منها ثلاث عظام فقط وهي عامرة اهله اصقلية تقابل المغرب واقريطش (كريت) تقابل مصر وقبرص تقابل الشام[١] .

ب- جغرافية الأنهار :

لقد اعطى المقدسي أهمية كبيرة للأنهار في كتابه من حيث دراستها وبيان قيمتها في مختلف جوانب الحياة ، فلم يذكر أقليماً وفيه نهر إلا وفصل أهمية هذا النهر للإقليم كله ، والمدن الواقعة على النهر واستخدامه في الشرب والري والنقل ونوعية مياهه ومن اين يبدأ وأين ينتهي بل أنه اعتمد النهر كأساس لهُ في تقسيم إقليم المشرق إلى جانبين هما جانب هيطل وجانب خراسان فاصلاً بينهما بنهر جيجون ، وهنا إشارة مبكرة إلى استخدام الأنهار كحدود فاصلة .

والانهار عند المقدسي قسمين الأول – هي المشهورة والفائضة التي تجري فيها السفن وهي (دجلة – الفرات – النيل – جيجون – الشاش – سيحان – جيجان – بردان – مهران – الرس – الملك – الاهواز) ، أما القسم الثاني – وهي الأنهار الأصغر من القسم الأول وعددها (١٥) نهر وهي (المروين – هراة – سجستان – بلخ – الصفد – طيفوري

[١] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

– زندرود – العباس – يردى – الأردن – المقلوب – انطاكية – ارجان – شيرين – سمندر) ثم يذكر المقدسي لكل نهر على حدة وبأختصار شديد من المنبع إلى المصب[١] .

١– دجلة :

((وأما دجلة فأنها ماء انثى لطيف جيد للمشفقهة ... تظهر من أقور)) وهي عين تخرج من تحت رباط ذي القرنين عند باب الظلمات . بين جبلين يقرب امد ثم يلقاه نهر يأتي من مدينة بلد ثم يقع بين جبلين))[٢] .

ويعني دجلة ماء اخضر ثم تلقاها عدة أنهار إلى الزاب وأول مبدأها لا تدير أكثر من رحى واحدة (دلالة على قلة مياهها عند المنبع . وأول ما يختلط بها من الروافد الذيب ثم الرمس ثم المسوليات (بطمان صو) .

ثم تعبر الكاروخة ، ثم سربط ، ثم عين فانان ، ثم نهر الرزب ، ثم الزاب ، ثم أنت في العراق ، وهذهِ الأنهار هي روافد تصب في نهر دجلة كما يشير إلى ذلك المقدسي ، كذلك يشير المقدسي أن سير دجلة نحو الجنوب بكورة بغداد أربعة انهار وهي العراة وعيسى وصرصر الملك ويلقاها من الشرق مياه النهر (ديالى) تحت بغداد ، فإذا جاوزت واسط تبطحت وصعب سلوكها إلى تخوم البصرة))[٣] ، حيث هنا إشارة واضحة إلى تغير طبيعة السطح من ارض جبلية إلى ارض سهلية منبسطة .

---

[١] كمال عبد الله حسن ، مصدر سابق ، ص٥٥ .

[٢] المقدسي ، مصدر سابق ، ص٢٤ .

[٣] المقدسي ، مصدر سابق ، ص٢٤ .

٢- الفرات :

يقول المقدسي ((نهر ذكر فيه صلابة واصله من بلد الروم))[١] بين ملطية وشمشاط ، ثم يتقوس على إقليم اقور ويتشعب اليه الخابور[٢] ، وهو أي الخابور تهدف عيون تجتمع وتصب إلى الفرات[٣] .

ثم يدخل العراق وينقسم إلى شمال الكوفة وقسم سيقسم ، فسقي سواد بغداد من اسفل الانبار بواسطة انهار الصراة وعيسى وصرصر والملط وبعد الكوفة ينحدر إلى غربي واسط حيث ينبطح النهر في بحيرة عظيمة بها قرى عامرة ولا يتجاوزها ولعل البحيرة هي الاهوار حالياً .

٣- النيل :

يشير المقدسي في بداية كلامه أن النيل يخرج من بلد النوبة ، بينما ذكر عن الجيهاني في قوله : أنهُ يخرج من جبل القمر ، ثم يصب في بحيرتين خلف خط الاستواء ويطيف بأرض النوبة ، ثم النيل في كورة الصعيد الأعلى ومن ثم إلى أسوان ثم يعد متعرجاً في جابل يقال لها بلوقيا ثم يرجع إلى مقدونة فيلصق بالفسطاط ، ثم ينقسم سبعة اقسام منها قسم إلى الإسكندرية بعد ما ينقسم إلى قسمين يفيضان غرباً في البحر وتجري الستة البواقي مستقيمة إلى بحيرتين منها تنس (تنيس) ودمياط تفيض في بحر الروم ، ثم يؤكد المقدسي نيان زيادة نهر النيل هو من اشهر يونة وهو من الأشهر الصيفية إلى شهر

---

[١] المصدر نفسه ، ص٢٥ .

[٢] المصدر نفسه ، ص٢٥ .

[٣] المقدسي ، مصدر سابق ، ص٢٥ .

توت وهو من الأشهر الشتوية ليؤكد المقدسي أن لنهر النيل هو ذو يادة صيفية عكس معظم انهار العالم الإسلامي .

وبذلك يؤكد المقدسي مقدار أهمية النيل وكمية المياه التي يستفاد منها في الزراعة ومعرفة أنواع المحاصيل التي تزرع ليؤكد المقولة التي تقول (مصر هبة النيل) .

كما يشير المقدسي أيضاً إلى السدود المقامة على نهر النيل لغرض تخزين المياه ورفع مستوياتها ، لسقي الأراضي المجاورة وهما سوان الأول خليج امير المؤمنين في عين شمس والثاني في الفيوم[١] .

٤- نهر جيجون (امودايا) :

ابتداءه المقدسي من بلاد وخان يمد إلى كورة الختل[٢] ، ويشق أيضالً كور قواديان وخوارزم وأما المدن التي يمر خلالها فهي ترمز ثم كالف ثم نويدة ثم زم ثم فربر ثم أمل ، ليستقر في بحيرة خوارزم (بحر ارال)[٣] ، ويتغذى هذا النهر من ستة روافد كما عددها المقدسي وهي نهر هلبك ويربان وفارغر واندیجا راغ وخشاب وهو أعمق الروافد حتى ليجري فيه السفن ونهر القواديان ، ثم تليها مجموعة من الانهاء الأخرى الأنهار الصغيرة التي تصب في النهر وهي التي اسماها بأنهار الصفانيان وعلى طول نهر جيجون الكثير من السدود والجسور والمعابر ، وجيجون عند المقدسي اعظم من دجلة بغداد ونيل مصر.

---

[١] كمال عبد الله حسن ، مصدر سابق ، ص٥٩ .

[٢] المقدسي ، مصدر سابق ، ص٢٦ .

[٣] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

٥- نهر الشاش أو سجون (سرداريا) :

يخرج عن يمين بلد الترك ويمد إلى بحيرة خوارزم أيضاً وهو يقارب جيحون في العظم ، إلى أنه شبه الميت يخرج منه خليج ما ين أسر وشنة وغجرنة ، فمن ابتداءه إلى منهاه مائة واربعون فرنجاً[١] .

٦- سيحان وجيحان وبردان (طرسوس) :

هي انهاء المصيصة واذنة وطرسوس في تركيا على ساحل البحر المتوسط ، يخرجن من بلد الروم ثم يفضن في البحر وكذلك سائر انهاء بلاد الشام الانهري يردى والأردن فأنهما يفيضان في الجبرة المقلوبة ، ويردى يتفجر في جبال فوق دمشق ويشق القصبة ويسقس الكورة ، ثم ينقسم فضلته فبعض ينحدر في اقصى الكورة والبعض الاخر ينحدر إلى الأردن ، فيلقي نهر الأردن .

وهذهِ الأنهار الثلاثة تنبع كلها من تركيا وتصب هي وسائر انهار بلاد الشام في البحر المتوسط الانهري بردى والأردن فأنهما يصبان في البحر الميت[٢] .

٧- نهر مهران (السند) :

وأما نهر مهران فأنهُ يخرج من الهند ثم يفيض في بحر العين ، بعد ما يلقاه عدة انهار في الأقاليم وطعم مائه ولونه وزيادته كون التماسيح فيه كالنيل ، وخروجه يقرب جيحون ويصب في البحر الصيني (المحيط الهندي) بالقرب من ميناء الديبل[٣] .

---

[١] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

[٢] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٦ .

[٣] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

ويشير المقدسي أشارة جميلة هنا وهي أن زيادة نهر مهران كالنيل تحدث في فصل الصيف حيث تكون الامطار الموسمية غزيرة في الهند .

٨- انهار الرس والملك والكر (أراكس وتريف وكورا) :

يخرجن من بلاد الروم فيسقين إقليم الرحاب ثم يفضن في بحيرة الخزر (قزوين)[١] . ونهرا الرس والملك يشقان طولاً كورة الران وقصبتها برنكة ، أما نهر الكر فهو على فرسخين من القصبة ، وهذا النهر هو اخفهن ، يخرج من ناحية الجبل على حدود جنزة وشمكور إلى قرب تفليس[٢] ، ثم يقع في بلدان الكفر ، ويليه في العذوبة والخفة نهر الرس وهو ماد على تخوم الران ، يخرج من ارمينية حتى ينتهي إلى ورثان ، ثم ينهي إلى خلف موقان فيقع في البحر ، وأما نهر الملك فخروجه من بلد الروم من وراء كورة الران حتى يقلب في البحر ، والحقيقة أن نهر الرس (اراكس) هو رافد لنهر الكر ، إذ يعتبر نهر كورا اهم انهار منطقة القفقاس منبعه من جبال تركيا ويصب في بحر قزوين .

٩- انهار الاهواز :

أما انهار الاهواز فهي عدة انهار تنحدر على الإقليم من الجبال ثم تجتمع بحصن مهدي وتفيض في بحر الصين (الخليج العربي) عند عبادان[٣] . وهي مجموعة انهار معظمها دائمة الجريان مثل نهري خوزستان والريان وبعضها فصلي الجريان مثل نهر

---

[١] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

[٢] المصدر نفسه ، ص٢٧ .

[٣] المصدر نفسه ، ص٢٧ .

المشرقان الذي يجف عامة السنة إلا في الشتاء ، لأنه يتغذى على الامطار وليس على الثلوج وبالتالي فأن زيادته تكون في فصل الشتاء[١] .

وهنا التفاتة مهمة من المقدسي يحدد طريقها الجريان الدائمي والجريان الفصلي ، وذلك بتحديد حوض تغذية النهر وتحديد منبعه وهل يتغذى من حوض ثلجي أم من الامطار ، ولعل اهم انهار الاهواز هما نهري الريان وخوزستان اللذان أنشأت عليهما العديد من المشاريع الضخمة كالسدور وقنوات الري الصالحة للملاحة .

١٠- انهار المروين وهراة وسجستان وبلخ :

تخرج من أربعة جوانب بلد الغور ثم تنحدر إلى هذهِ الكور فتسقيها[٢] ، فنهر المروين يخرج من تحت الغور فيمد إلى مرور العليا ثم يعطف إلى السفلى فإذا صار منهُ على نحو مرحلة لقيه واد عظيم قد سد من الجانبين بالحطب وانحبس الماء حتى تساوى المصب ثم مد إلى مرو ، وله اربع فروع هي نهر الزرق ونهر اسعدي ونهر هرمز مرة ونهر الماجان .

وأما نهر هراة ، فأنه يخرج من تحت الغور ، ثم يتشعب عند رأس الكورة فتمتد منهُ شعبة إلى القصبة ويتخلل البلد ثم يخرج إلى البساتين ، وأما نهر سجستان وهو نهر (هيرميد) فيخرج من ظهر الغور نحو الجنوب وينحدر إلى مدينة بست ثم يشعب على مرحلة من زرنج فيأخذ نهر الطعام على الرساتيق حتى يبلغ فيشك ، ثم يأخذ منه نهر باشتروذ فيسقي بست ثم ينحدر فيسقي عدد من القرى ثم يستمر النهر إلى بحيرة الصنط

---

[١] كمال عبد الله حسن ، مصدر سابق ، ص٦٢ .

[٢] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

ومن ثم إلى بحيرة قرب كرمان عذبة هي مستقر هذهِ المياه ، أما نهر بلخم فلم يذكر المقدسي عنهُ شيء .

١١- نهر الصفد :

أصل النهر من الجبال ومستقره بحيرة الصفانيان عليها عدد من القرى ، وهو ينهي ببخارى ، وهذا النهر يشق البلد ويتخلخل الأسواق ويتشعب في الشوارع ولهم حياض على النهر واسعة ومكشوفة[١] ، وعلى الجملة هو نهر ذو ماء كدر يطرح فيه بلاذات كثيرة .

١٢- طيفوري والري وزندرود :

أما طيفوري وهو من النهار إقليم الديلم ، فأنهُ ينحدر من جبال جرجان ، فيسقي الكورة وهو أنظف واعذب من انهار الكورة الأخرى وهو يصب في بحر الخزر ، وأما نهري الري وزند رود ، فأنهما من إقليم انهار الجبال ، حيث يخرج نهر الري من فوق البلد من شبه قوارة (عين) ثم يتشعب وينحدر على البلد في حين أن نهر زندرود ينحدر من جبال أصفهان ثم يدخل قصبة اليهودية ويسقي كورة اصفهان[٢] .

١٣- انهار فارس :

وهي مجموعة انهار أهمها نهري طالب وارجان ، فأما نهر طالب فأنه يخرج من جبال أصفهان من البرج قبل سميرم ثم يمد على تخوم فارس ثم يفيض في بحر الصين

---

[١] المصدر نفسه ، ص٢٧ .

[٢] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

عند سيمينيز وهي على نصف فرسخ من الجر يدخل اليها خور تجري فيه المراكب ، وأما نهر ارجان فأنه يتفجر من جبال فارس ويقع فيه ماء مالح تحت العقبة ويقي الكورة بالقمة[١] .

ومع كل ما ذكره المقدسي من انهار فأن هناك انهار كثيرة في مملكة الإسلام أشار إليها إشارات مقتضبة وخصوصاً في ذكره للمدن والقصبات والنواحي[٢] .

وختاماً لحديثنا عن الحقل الهيدروغرافي لابد من الإشارة إلى أمرين مهمين وهما :

ج- البحيرات :

بالرغم من أننا نفردها تحت عنوان خاص بها تماشياً مع الكتاب إلا أننا ذكرنا أغبها مع الأنهار والبحار ، إذ أن المقدسي لم يفنه أن يكتب عنها أو أن يذكرها خلال كلامه عن المياه ، ورغم ذكره لعديد من أسماء البحيرات إلا أنها قد تكون بحيرات موسمية قد جفت الآن ، كما تستدل ذلك عندما تكلم عن بحيرات إقليم فارس ، إذ يذكر أنها خمس بحيرات ، أبرزها بحيرة دشن أرزن انهما ربما جفت رغم أن مساحتها عشرة فراسخ ، فإذا كانت قد جفت في زمن المقدسي (القرن الرابع الهجري) فهل مازالت البحيرات موجودة إلى الآن[٣] .

---

[١] المصدر نفسه ، ص٢٧ .

[٢] كمال عبد الله حسن ، مصدر سابق ، ص٦٥ .

[٣] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٦٦ .

د- تصنيف المياه :

الامر الثاني هو تصنيف المياه في العالم الإسلامي إذ اعتمد المقدسي تصنيفاً خاصاً بهِ يمكن عن طريقة معرفة نوع المياه في أي إقليم وهذا التصنيف جاء عن طريق التجربة والملاحظة الشخصية والسؤال والاستفسار وملاحظة وجوه الناس ، وهو يصنف المياه إلى صنفين اسايين خفيف وثقيل ، يقول ((فأن قال قائل ومن أين علمت خفة المياه وثقلها قيل لهُ من أربعة أشياء احداهن أن كل ماء يبرد سريعاً فهو خفيف وما رأيت اسرع برودة من ماء تيماء واريحاً وهما اخف مياه الإسلام[1] ، والثانية الماء الخفيف يبطئ تحليه ومن شرب ماءاً ثقيلاً اسرع بوله ، والثالثة الماء الخفيف يشهي الطعام ويهضمه ، والرابعة إذا أردت أن تعرف ماء بلد فأذهب إلى البزازين والعطارين فتصفح وجوههم فإذا رأيت فيها الماء فأعلم خفته على قدر ما ترى من نظارتهم وأن رأيها كوجوه الموتى ورأيتهم مطامني الرؤوس فعجل بالخروج منها .

وكأمثلة على المياه نذكر ما يأتي :

- في إقليم الجزيرة : ماء عدن وقناة ومكة وزربيد ويثرب خفيف ماء غلافقة قاتل ، ماء قرح وينبع رديء .
- في إقليم الشام : المياه جيدة إلا ماء بانياس فأنه يطلق وثقيل وخشن وماؤها رديء ، ماء الرملة خفيف مريء ، ماء إيليا ودمشق ادنى خشونة وماء بيسان ثقيل .
- في إقليم مصر : ماء القلزم اجن رديء ، الفسطاط خفيف الماء .

---

[1] المصدر نفسه ، ص٦٧ .

- في بادية العرب : الغمر ماء وحشة ، وبير أبار حلوة ، الاجولي ماء يتورم من شرب منهُ وربما يموت ، ثجر ماء غير طيب ، العونيد ماء كرية ، مخرى ماء مالح يطلق .
- في إقليم المشرق : نموجكث وبغشور ماؤها خفيف .
- في إقليم الديلم : هراة ماؤها ثقيل ، ارجان ماؤها رديء .
- إقليم السند : بنجبور ماؤها رديء ، فنوج ماء صحيح[١]

ثانياً – الحقل المناخي :

لقد كان لآراء المدرسة اليونانية نصيب كبير في الكتابات الجغرافية العربية في الحقل المناخي ، إذ أخذ الجغرافيون العرب بالمبادئ الرئيسية التي وضعها الاغريق والرومان في علم المناخ ، الشمس مصدر الحرارة على الأرض ميل الشمس على خط الاستواء السبب الرئيسي بأختلاف درجات الحرارة ، التقسيم اليوناني للمناطق الحرارية على الارض[٢] ، والمقدسي هو أحد الذين تأثروا بهذهِ الآراء التي ترتبط بالجانب الفلكي ، إذ أفرد المقدسي باباً خاصاً في ذكر الأقاليم العالم ومركز القبلة ، وهو يؤمن بأن الأرض كروية الشكل فهي كالكرة موضوعة في جوف الفلك كالمحفة (صفار البيض) جوف البيضة والنسيم حول الأرض وهو جاذب إليها من جميع الجوانب إلى الفلك ، كما يؤمن بانه الأرض مقسومة إلى قسمين بواسطة خط الاستواء حيث استواء الليل والنهار وكل نصف يتكون من (٩٠°) عرض إلى المنطقة القطبية ومحيط الأرض يتكون من (٣٦٠°) والمسكون من الأرض هو النصف خراب وتركز معظم المسطحات المائية[٣] ، وكان

---

[١] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٠ .

[٢] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٦٩ .

[٣] صباح محمود محمد ، المصدر السابق ، ص٤٦ .

المقدسي من اكثر الجغرافيين العرب الأوائل عناية بالتفصيلات المناخية بالتأكيد على الصفات المناخية لكل إقليم[١] ، كما يلاحظ أنهُ اتبع خطة في وصف الأقاليم المناخية بأنهُ يصف الحالة المناخية لموقع جغرافي معين وربما اهمل موقعاً آخر .

ويتمثل المناخ عند المقدسي في ثلاثة جوانب هي الحرارة والرياح والتساقط ، إذ حاول المقدسي إعطاء كل إقليم موجز معين عن هذهِ الجوانب الثلاثة .

أما الظاهرة الثانية التي تطرق إليها المقدسي فهي المد والجزر إذ يشير اليها في البحر الصيني (المحيط الهادي) .

أما عن دور الريح في التعرية والنحت فأن الريح في جزيرة سرتديب تعمل على نحت جبل الرهن أو جبل آدم وتعمل على نزول الياقوت من أعلاه[٢] .

أما عن الزلازل والبراكين فقد سجل المقدسي لنا بعض الزلازل وما تفعله من فعل فهو يشير إلى حدوث زلزال في المسجد الأقصى أدى إلى تدمير المسجد .

وأما عن الترب والصخور فقد كانت للمقدسي أشارات عديدة فيها أماكن متعددة في منطقة الدراسة ، ويلاحظ أن المقدسي يؤكد على ذكر لون الصخور أو الترب وهو من المقاييس المتعارف عليها حالياً في تمييز أنواع الصخور والترب .

كذلك ابدع المقدسي في تصوير الجانب الطبيعي أو ما تسميه بالجغرافية الطبيعية وهي مظاهر السطح من سهول ووديان وهضاب وجبال[٣] .

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٦٩ .

[٢] صباح محمود محمد ، المصدر السابق ، ص٥٠ .

[٣] باسم عبد العزيز العثمان ، الفكر الجغرافي القديم والإسلامي ، دار الوضاح للنشر ، ط١ ، ٢٠١٥ ، ص٢٢٢ .

كما أشار المقدسي أيضاً إلى ظاهرة أخرى وهي الكهوف فيذكر أنهُ في ايلبا بأقليم الشام مغارة كبيرة بها مقاطع للمجارة .

أما عن الابار والعيون فقد ذكر المقدسي من الابار والعيون مالا يعد ولا يحصى من إقليم إلا وبهِ عين أو بئر ارتوازي أما للسقي أو للشرب وهو يؤكده في المناطق قليلة المياه والصحراوية حيث يكون الاعتماد على الآبار كما في بادية العرب والجزيرة العربية.

أما العيون فمنها ما هو نقي ومنها ما هو كدر ، كما ذكر العيون الكبريتية التي تشفي الامراض ومنها ما تكون قرب الموصل يشفى فيها من البرص .

وبالتالي فأن اهداف المقدسي هي ذكر الأقاليم الباردة والحارة والمعتدلة وبالتالي كمية الامطار والثلوج ومن ثم معرفة نوع النشاط الزراعي وطرق الارواء ومصادر مياه الشرب ، كما أنه قد ميز بين المناطق الداخلية والمناطق البحرية .

أما عن الرياح فأن المقدسي لم يكثر ذكرها وإنما كانت إشارات قليلة فالريح عنده تكون مهلكة كما في منطقة فاران حيث تسبب غرق المراكب بسبب قوتها ، أو قد تكون مفيدة في الملاحة كما في منطقة مضيق المندب للدخول والخروج إلى المضيق ، أما للتساقط عند المقدسي فهو على ثلاث أنواع امطار وثلوج ورطوبة .

ثالثاً – الحقل الجيومورفولوجي :

أما الحقل الرئيسي الثالث والأخير في الجغرافية الطبيعية فهو الحقل الجيومورفولوجي ، ورغم تأكيد العديد من الأساتذة الذين ذكروا المقدسي في كتاباتهم أن

المقدسي لم تكن لهُ إشارات وتسجيلات أو تفسيرات للعديد من الظواهر الجيومورفولوجية كغيره من العلماء العرب أمثال المسعودي واخوان الصفا والبيروتي وغيرهم ، وذلك بالاكتفاء يذكر تقسيم المقدسي لسطح إقليم الشام باعتباره يمثل حقل جيمورفولوجي أو تضاريس السطح ، إلا أننا نقول وبكل ثقة أن المقدسي كانت لهَ أشارات واضحة كثيرة في مجال الجيومورفولوجي تنم عن إدراك ووعي ومعرفة لأغلب هذهِ الظواهر الجيومورفولوجية وهي (المد والجزر وضحالة المياه والصخور البارزة والزلازل والبراكين والصحاري والنيازك) ، ومن أول هذهِ الظواهر الجيومورفولوجية التي ابتدأ بها المقدسي هي مسألة أعماق مياه البحار كالبحر الأحمر والخليج العربي وضحالة المياه وبالتاي صعوبة الملاحة[١] .

الجوانب البشرية التي ناقشها المقدسي :

أن تشعب حقل الجغرافية البشرية يجعل من الصعوبة بمكان تحديد ماهية الجغرافية البشرية ، أو ماذا تشمل من فروع ، فمن حقل يهتم بالإنسان ووجوده وعلاقته بالبيئة وتأثره بها أو تأثيره فيها وتركيزه على استغلال الأرض بكافة مواردها والاعمار المثالي لها ، إلى حقل يشمل كل شيء عند الإنسان لتفي الجغرافية البشرية ((المجهود العقلي لفهم كيف أن كل العوامل الاقتصادية والبيئية والسياسية والاجتماعية والثقافية والتأريخية توجد بين العوامل الأخرى وتكون متلاحمة مع أسئلة عن المكان والمجال أو الخصوصية))[٢] .

---

[١] باسم عبد العزيز العثمان ، المصدر السابق ، ص٢٢٢ .

[٢] فيدال دي لا بلاش ، أصول الجغرافية البشرية ، ترجمة شاكر خصباك ، منشورات مطبعة بغداد ، ١٩٨٤ ، ص٩ – ٢٥ .

أن مصطلح الجغرافية البشرية يبقى أكثر استعمالاً ودلالة على هذا الحقل الذي يضم الجغرافية الاجتماعية بكافة اقسامها فضلاً عن الجغرافية التأريخية البشرية .

وهنا إشارة إلى أن الجغرافيين العرب كانوا من أوائل من كتبوا في الجغرافية البشرية ، وأن المعلومات التي حوتها كتبهم كانت ذات صفة بشرية أعظم قيمة في كتب الجغرافية العربية من أي معلومات أخرى[١] .

وقد كانت المعلومات عند المقدسي مبنية على المشاهدة الشخصية وعن طريق الرحلة والسفر ، وأن كتاب احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم هو بحد ذاته يمثل دراسة مهمة في الجغرافية التأريخية في القرن الرابع الهجري ، ونشير هنا إلى معالجة مثل هذهِ المواضيع من قبل المقدسي خصوصاً أنهُ أتبع منهجاً اقليمياً في الدراسة يقوم على أساس جمع الحاصلات الزراعية المتوفرة في المنطقة بعد أن درس الإقليم من النواحي الطبيعية والسكانية وطرق استغلال الموارد الطبيعية .

أولاً – الخصائص الديموغرافية :

الديموغرافيا (Demogaphy) كلمة اغريقية تتكون من مقطعين هما Demo وتعني شعب أو سكان و Graphy وتعني وصف وبهذا يكون المعنى وصف السكان[٢] ، ولما كانت الديمغرافية رغم أنها تميل إلى الجانب الاحصائي ، تناول في معناها الواسع دراسة خصائص إضافية مثل النواحي الحضارية والاجتماعية والاقتصادية كالرس (الاجناس) واللغة والدين والمكانة العائلية والنشاط الاقتصادي[٣] .

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٨٦ .

[٢] الانترنيت www.gogle.com

[٣] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٨٧ .

على العكس من جغرافية السكان التي تركز على كل ما يخص السكان تركيب عمري ونوعي وكثافة سكانية وخصوبة ووفيات وولادات أي توزيع الظاهرة السكانية وتباينها من مكان إلى آخر .

وعليه يتناول هذا المبحث دراسة كل من الدين واللغة والاجناس والعادات والتقاليد باعتبارها خصائص السكان في القرن الرابع الهجري / العاشر الميلادي في مملكة الإسلام .

١- الدين :

هو نظام يتكون من عقائد وممارسات وطقوس لها قدسيتها وحرمتها ، ويتكون من مجموعة معتقدات وقيم وطقوس وممارسات سلوكية تتعلق بكائنات وقوى وأماكن مقدسة تفوق بطبيعتها واهميتها جميع الأشياء التي يستطيع الانسان الهيمنة عليها والتحكم فيها .

ولذلك فأن المقدسي من اول العوامل التي اعتمدتها في دراسته ، فقد حدد دراسته بناءاً على الدين فيقول (ولم تذكر إلى مملكة الإسلام حسب ولم تتكلف ممالك الكفارة لأنها لم تدخلها ولم نر فائدة في ذكرها بل قد ذكرنا مواضع المسلمين فيها)[١] ، وعليه فقد حصر دراسته بما يخص الإسلام فقط في مملكة الإسلام أولاً ومواضع المسلمين في بلاد الكفار ثانياً .

[١] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٧ .

٢- اللغة :

وهو العامل الثاني الذي استخدمه المقدسي ، فعلى ضوء اللغة قسم دراسته إلى قسمين عربي وعجمي فيقول ((وقد قسمناها أربعة عشر اقليمياً وأفردنا أقاليم العجم عن أقاليم العرب ، والاقاليم العربية هي (جزيرة العرب ثم العراق ثم اقور ثم الشام ثم مصر ثم المغرب) واقاليم العجم أولها المشرق ثم الديلم ثم الرحاب ثم الجبال ثم خوزستان ثم فارس ثم كرمان ثم السند وبين أقاليم العرب بادية ووسط أقاليم العجم مفازة) .

والمقدسي لدراسة هذهِ الأقاليم يتبع منهجاً محدداً في استخدام اللغة نابع من طبيعية اللغة المستخدمة في كل إقليم ومدى اختلاف اللهجات وطريقة النطق[١] .

أما التوزيع المكاني فحيث يوجد أكثر من لهجة فأنه يوزع هذهِ اللهجات بحسب أماكن تواجدها في الأقاليم والكور والمدن ، كما أنهُ يعطي تقويماً لها بحسب مطابقتها للغة العربية أو الابتعاد عنها ومن خلال كلامه يمكن أن نلاحظ توزيعاً مكانياً رائقاً للغة العربية .

ثانياً – النشاط الزراعي :

تعد الزراعة من أولى الدراسات التي يجب تدوينها لأنها المادة الأساسية التي يعتمد عليها المجتمع في نشاطه واستهلاكه ، وهي المادة الرئيسية الأولى التي تدخل في محور النشاط الصناعي لتقرير حركة التجارة ونشاطها في تعدد مجالاتها وتنوع انتاجها[٢] ، أن سعة الرقعة الجغرافية التي تشكل العالم الإسلامي أو مملكة الإسلام في القرن الرابع

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٩٢ .

[٢] علي محمد المياح ، الجغرافية الزراعية ، مطبعة الإرشاد ، بغداد ، ١٩٧٦ ، ص١٩ .

الهجري ، العاشر الميلادي أدت إلى بروز صفة التباين المكاني بشكل واضح بين منطقة وأخرى وفي مختلف الجوانب الطبيعية والبشرية ، فأختلاف التضاريس بين سهول وهضاب وجبال وتنوع الترب السائدة ومدى صلاحيتها للزراعة واختلاف العناصر المناخية أدى تنوع الإنتاج الزراعي بشقيه النباتي والحيواني بين أقاليم المملكة .

٣- علم الاجناس (الانثروبولوجية الطبيعية) :

هو علم دراسة السلالة (العنصر) والبايولوجية البشرية[١] ، والذي يكون مع الانثروبولوجيا التطبيقية (علم الانثروبولوجي) ، ولقد امرنا المقدسي بمعلومات قيمة عن صفات السكان في العديد من الأقاليم الإسلامية مما يدخل تحت علم الاجناس ، ففي اكثر من موقع يذكر لنا الوان السكان ووجوههم واجسادهم والصفة الغالبة عليهم محاولاً تفسير السبب في اغلب الأحيان ، والذي يعزيه هو إلى عامل المناخ مرة وإلى التدخل البشري مرة ثانية كما هو الحال في اهل خوارزم .

٤- العادات والتقاليد :

هي أنماط سلوكية وطقوسية يتمسك بها الأفراد نظراً لتأكيدها على أهمية الماضي السحيق ولقد بينها ومنزلتها الرفيعة عند الافراد ، وتتجسد في مراسيم الزواج ومراسيم تشيع الموتى وفي السلام والتحتيات ومراسيم الأعياد والمناسبات الدينية والوطنية[٢] ، كما

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٩٦ .

[٢] المصدر نفسه ، ص٩٨ .

تمثله أيضاً في عادات وتقاليد العرب المتمثلة بالكرم والجود وحسن الضيافة والفروسية وغيرها من العادات والتقاليد العربية الاصلية[١] .

ولما كانت الزراعة تعني تكامل الخصائص الاجتماعية التنظيمية وانتاجية معينية ترتبط بأنتاج المحاصيل وتربية الحيوانات في منطقة معينة .

أولاً – النشاط الزراعي النباتي :

ونعني بهِ كل ما ذكره المقدسي عن النبات من المحاصيل الزراعية وطرق الري وأنواع الترب والحراثة المستخدمة في مملكة الإسلام ، حيث كان لكل من هذهِ العناصر ميزته التي استوقفت المقدسي وجعلته يصف هذهِ الظاهرة أو غيرها .

١- المحاصيل الزراعية : لقد أشار المقدسي في معرض كلامه عن الأقاليم إلى ما ينتج كل إقليم من فواكه وخضر ومحاصيل زراعية كالقطن والرز والحبوب والكتان والنخيل والحمضيات والزيتون والكروم وغيرها من المنتجات التي يتميز بها كل إقليم عن غيره من الأقاليم الأخرى ، حيث كان للتنوع المناخي الأثر الكبير في تنوع الإنتاج الزراعي في الأقاليم الإسلامية[٢] ، حيث أدى هذا التنوع إلى اجتماع اكثر من محصول في إقليم واحد ، حتى قال عنه المقدسي أن بعض الأقاليم جمعت الاضداد كما في دمشق .

٢- الري : أن اعتماد الزراعة على المياه كعنصر أساسي في نشوئها وقيامها ، دفع المقدسي ومنذ بداية كتابه إلى توزيع وتفصيل وايضاح اهم مورد من موارد المياه المستخدمة في الزراعة وهو الأنهار ، حيث ذكر المقدسي انهار مملكة الإسلام الكبار

---

[١] باسم عبد العزيز العثمان ، المصدر السابق ، ص٢٧٣ .

[٢] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١٠٣ .

وعددها (١٢) نهر أما الأصغر فعددها (١٥) نهر والاصغر تذكر ضمن الأقاليم ، كما ذكر مصادر أخرى للمياه كالآبار والعيون والبرك والامطار[١] .

أ- الأنهار : من اكثر مصادر الري وأكثرها إفادة للزراعة ، حيث تحوي مملكة الإسلام على عدد كبير من الأنهار ، والتي تتفرع منها شبكة منظمة ودقيقة من الجداول والترع لسقي المزارع والبساتين من الأنهار يتم بطريقتين الأولى : وهي السقي من النهر مباشرة ، مثل الأراضي الواقعة على نهر هيرميد في إقليم سجستان ، كما يمكن أن تتدرج وفق هذهِ الطريقة السقي عن طريق المد والجزر كما في مدينة البصرة ، يقول المقدسي ((حيث أن المد والجزر أعجوبة اهل البصرة ونعمة يزورهم الماء في كل يوم وليلة مرتين ويدخل الأنهار ويسقي البساتين ولحمل السفن إلى القرى))[٢] .

والثانية : هي السقي بالواسطة ، إذ يعدد المقدسي مجموعة من الطرق التي تستخدم كواسطة لرفع المياه وسقي المزروعات أو لنقل المياه من مكان إلى آخر ، وهذهِ الطرق هي :

١- القنوات : أو ما يسمى في الوقت الحاضر ((الكهاريز)) وهي قنوات تجري تحت الأرض لتظهر في أماكن معينة ، وقد تحدث عنها المقدسي في كتابه وتوجد هذهِ القنوات في أقاليم معينة كما في نيسابور حيث قال ((أن لها قنى كثيرة تجري تحت الأرض وهي باردة في الصيف))[٣] .

---

[١] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٢٤ .

[٢] المقدسي ، المصدر السابق ، ص١٨ .

[٣] المصدر نفسه ، ص٣٣٦ .

٢- النواعير (الدواليب) : وهي احدى الطرق المستعملة في السقي تستخدم لرفع المياه من الأنهار إلى الأراضي المجاورة ، وقد ذكرها المقدسي عند كلامه عن نهر الكارون في إقليم خوزستان ، كذلك يشير إلى كثرة الدواليب على نهر النيل واستخدامها في سقي المزروعات ، كما يذكر بأقليم كرمان بأن سقيهم بالدواليب[١] .

٣- الارحية : نوع من الآلات المستخدمة في السقي ، يديرها الماء وهذا النوع نشر في عدد من المناطق ، كما يقول المقدسي ((يلزم قصبة أصقلية يسقيها نهر عليه ارحية كثيرة ... وفي قرطبة ناحية جيان تكثر في الارحية على العيون))[٢] .

ب- مصادر الري الأخرى : وتشمل الآبار والعيون والبرك والقنى والامطار ، إذ تعد الابار من المصادر المهمة للمياه وخاصة في المناطق التي تقل فيها المياه الجارية والامطار ، فتستخدم للشرب والسقي حيث تتميز بمياهها الجيدة بسبب مياهها العذبة ، وتكثر في بادية العرب والجزيرة العربية وإقليم المغرب ، ومن امثلتها أن مدينة عمان تروى من الابار القريبة منها .

أما العيون فقد بين المقدسي وفي أكثر من موضع أهميتها سواء للزراعة أم للشرب أو للعلاج ، فهنالك العيون العذبة والمالحة والكبريتية[٣] .

---

[١] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٣٣٠ .

[٢] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١١٦ .

[٣] المصدر نفسه ، ص١١٧ .

٣- التربة والحراثة : رغم أهمية التربة في الحراثة إلا أنه المقدسي لم يتطرق بشكل كبير وتفصيلي إلى أنواع التربة وإنما أشار إلى بعض أنواع الترب في بعض المناطق مستخدماً مصطلحات متنوعة مثل (تربة صحيحة أو صحيحة التربة) ، كما يميز المقدسي بين التربة الجيدة وغير الجيدة .

٤- الإنتاج الحيواني :

أن أهمية الإنتاج الحيواني في العالم الإسلامي لم تتأت فقط من ناحية الجانب الغذائي المتمثلة في اللحوم والألبان ومشتقاتها والبيض والاعسال ، بل لأنهُ يدخل كمادة أساسية اعداد الملابس والاغطية إذ يمثل أساساً من الأسس التي تقوم عليها الصناعة كالنسج والصوف والصناعات الجلدية والاحذية والسروج ودروع المقاتلين ، كما تأتي هذهِ الأهمية من ناحية اعتبار الحيوان مصدر من مصادر القوة ، فقد تم استخدامه في الحراثة وكذلك في رفع المياه من الابار والانهار ووسيلة من وسائل النقل ، حيث كان الحيوان متمثلاً بالجمال والخيول والبغال والحمير الأساس المعتمد عليه في المواصلات[١] .

وقد وردت إشارات للمقدسي عن الحيوانات في كل إقليم من أقاليم مملكة الإسلام يمكن من خلالها استنتاج مقدار أهمية الثروة الحيوانية في النشاط البشري إذ أنه احتواء العالم الإسلامية على عدد كبير من الأنهار والبحيرات وأطلاله على بحريتين كبيرتين (الصيني والرومي) وبحر الحزر وبحيرة قزوين قد أمد العالم الإسلامي بمصدر غذائي مهم وهو الأسماك .

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١١٨ .

فيذكر المقدسي انشاء الأسماك في كل المدن الساحلية وبكثرة حتى أنهُ ينقل من مكان إلى آخر[١] .

ثالثاً – الصناعة والمعادن :

أن الصناعة بأعتبارها نشاطاً بشرياً رافقت ارتقاء الإنسان سلم التطور الحضاري ، بل أن الحضارة ارتبطت بإنتاج الأدوات الأولى التي أسهمت في توفير سبل سير الحياة من وسائل الصيد ... إلى عمل بعض الآلات والأدوات التي شاركت في الإنتاج الزراعي وفي عملية بناء المساكن وصنع الملابس ، وقد ارتبطت الصناعات الأولى بالمواد الأولية التي تتوافر في البيئة الطبيعية المحلية ، والتي عرفها الإنسان واستغلها في صناعاته التي تنوعت بحسب تنوع المواد الداخلية في الصناعة وحاجة الإنسان إلى أنواع من الصناعات ، وقد كان لأقاليم مملكة الإسلام نصيب كبير في قيام ونشوء صناعات عدة رافقها وجود ثروات طبيعية ، ومهارة الصناع وتوفير رؤوس الأموال وبالتالي النشاط التجاري الذي يصرف هذهِ المنتجات حتى أن وجود ثروات طبيعية معينة قد أدلا إلى اعكاء نوع من التخصص في الصناعة لصنف معين أو أكثر لإقليم ما أو مدينة ما ، وفي الوقت نفسه فأن ما يرتفع من تجارة هذهِ المدينة أو تلك قد يعطيها دلالة صناعية لتلك المواد ، لقد أوضح المقدسي منهجه فيما يتعلق بالصناعات وذلك بذكر الضائع في الأقاليم كما أنهُ يعطي التوزيع للصناعات والعمال الماهرين في عملهم[٢] .

---

[١] المصدر نفسه ، ص١١٨ .

[٢] محمد ازهر السماك ، وعباس التميمي ، أسس جغرافية الصناعة وتطبيقاتها ، دار الكتب للطباعة والنشر ، بغداد ، ١٩٨٧ ، ص٢٦ .

إذ أن وجود هؤلاء يدل على صناعة جيدة تضرب بها الامثال أنه توفر الثروات الطبيعية الداخلية في الصناعة ووجود العمال والصناع المهرة قد اعطى بعض الأقاليم دافعاً كبيراً لإنتاج مواد عدة ذاع صيتها بين الأقاليم .

أن قيام الصناعة يتطلب توفر مواد أولية تدخل في الصناعة :

أ- الثروات الطبيعية :

أن مصطلح الثروات الطبيعية أو المواد الطبيعية مصطلح واسع يراد بهِ تلك المواد التي تكون مصادرها طبيعية أي ليس للإنسان دور في خلق أو التوزيع الجغرافي لمصادرها سواء أكانت هذهِ المصادر ملموسة أو غير ملموسة وهي بذلك تشمل الموارد المائية ، النبات الطبيعي ، الطيور والحيوانات البرية والتربة ، الموارد المعدنية وعناصر الطقس ، والمناخ والموقع الجغرافي وغيرها[١] ، والتي تختلف زمانياً ومكانياً ، وسنركز على دراسة ثلاث موارد رئيسية تشمل الموارد النباتية والحيوانية والموارد المعدنية :

أولاً – الموارد النباتية والحيوانية :

تحتل هذهِ الموارد أهمية كبيرة في الصناعة ، فهناك العديد من الصناعات التي تقوم على الموارد النباتية كالصناعات الخشبية والغذائية والنسيج التي تستخدم القطن والكتان[٢] .

كما أن الموارد الحيوانية دورها في الصناعات النسيجية والصوفية والحريرية وفي الصناعات الغذائية والصناعات الجلدية .

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١٢٤ .

[٢] المصدر نفسه ، ص١٢٤ .

ب – الموارد المعدنية :

لقد أكثر الجغرافيون العرب ومنهم المقدسي في ذكر المعادن وأماكن تواجدها وطرق استخراج بعضها واستعمالاتها فقد برع العرب في مجال استعمال المواد المعدنية وفي دراسة الجواهر والاحجار الكريمة وكذلك صناعة الزجاج والاصباغ والاحبار من المواد المعدنية وأضافوا إلى المعرفة العلمية الإنسانية باكتشافاتهم الجديدة حول المعادن وسبل الاستفادة منها ، لذلك ركز العرب على ذكر المعادن في كل إقليم من أقاليم المملكة[1] .

رابعاً – النقل والتجارة :

لعل من أهم فروع الجغرافية البشرية التي تطرق لها المقدسي هو فرع النقل والتجارة ، ولعل السبب يعود إلى أن المقدسي كان تاجراً أولاً ولحاجة التجارة إلى طرق النقل ثانياً .

أنه الاطلاع على كتاب احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم يعطي المتطلع صورة واضحة عن حجم ما ذكره المقدسي عن التجارة والنقل ، فضلاً عن الإنتاج في كل إقليم وما يشتهر بهِ يورد المقدسي دائماً في منهجية متسلسلة وتحت عنوان جملة شؤون الإقليم فقرة خاصة عن تجارات كل إقليم وفقرة أخرة عن المسافات بين المدن فضلاً عن ذكر

---

[1] المصدر نفسه ، ص١٢٥ .

الأنهار والبحيرات في أقاليم المملكة والبحار والمجاورة لها وبالتالي ذكر السفن التي تبحر سواء في الأنهار أو البحيرات[١] .

وقد أوضح المقدسي منهجه منذ بداية كتابه إلى النقل ولاسيما النقل المائي بشقيه البحري والنهري والنقل البري مشتملاً الطرق البرية .

يقلو المقدسي في كتابه ((وصف منازل المملكة المسكونة وطرقها المستعملة ... ومبادئ الحمل والتجارات ، واختلاف اهل البلدان في مذاهبهم ومكاييلهم ونقودهم ، وما يحمل من عندهم واليهم))[٢] .

١- النقل : لقد أكد المقدسي مرة ثانية على أهمية الطرق وذلك من خلال ايضاحه للطرق لأنه الحاجة إليها وكما يشير إلى ذلك أشد[٣] ، فما ترك إقليم إلا وأشار إلى الطرق الموجودة فيه مبداها وانتهائها والمدن الواقعة عليها سواء كانت هذهِ الطرق مائية أو برية.

٢- التجارة : مما سبق ذكره يتضح لنا جلياً أن العالم الإسلامي قد توافرت لهُ ظروفاً طبيعية وبشرية هيأت لهُ كل مستلزمات الإنتاج الواسع ، الذي أن دل على شيء فإنما يدل على حجم الرخاء والثروة التي كان يمتلكاها العالم الإسلامي يرافقه شيوع الأمن والاستقرار السياسي الذي شجع على التجارة وحركة السلع والمبادلات داخلياً بين الأقاليم مملكة الإسلام وخارجياً مع الدول والاقاليم الواقعة خارج حدود المملكة ، لغرض التصدير من الفائض للإنتاج واستيراد النقص والحاجات الكمالية التي قد لا تتوفر في المملكة ،

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١٣٧ .

[٢] المقدسي ، المصدر السابق ، ص٣٤ .

[٣] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١٤٨ .

وعلى هذا الأساس يقسم الأستاذ موريس لومبارد العالم الإسلامي إلى اربع واجهات تجارية تمثل تيارات المبادلات السلعية وهذهِ الواجهات هي الواجهة الشمالية الشرقية وهي جبهة الطرق القارية عبر الواحات والواجهة الجنوبية الشرقية وهي جبهة الطرق الحميرية للمحيط الهندي بتفرعاته الخليج العربي والبحر الأحمر والواجهة الجنوبية الغربية وهي جبهة طرق قوافل الصحراء الكبرى وافريقيا الشمالية ، والواجهة الشمالية الغربية وهي جبهة الطرق البحرية والنهرية القارية إلى ارمينية وبحر قزوين ومنطقة الأنهار الروسية وبحر البلطق[١] .

وكان نتيجة وجود هذهِ الجبهات أن ظهرت مدن كمراكز تجارية كبرى مثل عدن التي يصفها المقدسي بأنها بلد جليل عامر اهل حصين خفيف دهليز الصين وقرضة اليمن وخزانة المغرب ومعدن التجارات وصحار هي قصبة عُمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منهُ . دهيلز الصين وخزانة الشرق والعراق ومغوثة اليمن ، ومنها مراكز تجارية داخلية مثل إقليم أقور الذي يصفه بأنهُ معدن الخيل العناقة ومنهُ ميرة أهل العراق والشام ، والموصل منها ميرة بغداد وآلية قوافل الرحاب .

وفي إقليم خوزستان – الاهواز خزانة البصرة ومطروح فارس وأصفهان وبهِ تجمع الخزر والديباج واليه تحمل البضائع والأموال وهو مغوثة للتجار ومنهل عامر لكل مار[٢] .

---

[١] المصدر السابق ، ص١٤٩ .

[٢] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١٤٩ .

ابداعات المقدسي في الجغرافية الإقليمية :

المقدمة :

من خلال الفصول الماضية لاحظنا ما يتمتع به المقدسي من حس جغرافي مكنه من طرح معلوماته بالشكل الآنف الذكر ، والذي أن دل على شيء فأنما يدل على أصالة المقدسي في منهجه وطريقة عرضه للمادة واتباعه المنهج العلمي الصحيح المبني على المقارنة والاستنتاج وكذلك اعتماد مبدأ السببية .

ولعل السبب هو عدم توافر خبرات الأجيال اللاحقة للمقدسي على عكسنا نحن ، وبالرغم من كل ما ذكر فقد كانت للمقدسي جهود عظيمة تجلب من خلالها عبقريته واصالته وافردته من غيره من الجغرافيين وجعلت منه رائداً لهذا الحقل دون سواه ، لذلك ارتئينا افرادها في هذا الفصل رغم تداخلها مع الفصول السابقة .

كذلك محاولة ابراز دور المقدسي فيها وعدم بخس حقه :

أولاً – المدينة عند المقدسي :

تمثل المدينة أحد مظاهر الحضارة التي أسهمت في بنائها بل أن المدينة هي الحضارة ، إذ أن الحضارة تتطلب الاستقرار لكي يتحرر المرء من دوافع القلق وعوامل التقلب والتشتت وهذا لا يتم إلا في المدينة[١] ، ومعنى المدينة بحسب المعاجم العربية (هي المكان الذي يقام به وله حدود كابتة) وبسبب أهمية المدينة المتأتية من تأكيد القرآن الكريم والاحاديث النبوية الشريفة على المدينة واهميتها فقد تصدى المقدسي إلى موضوع المدينة

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١٧٨ .

من حيث المعنى والتوزيع والتصنيف للمقومات المورفولوجية والوظائف التي تؤديها وحجم المدن وسبل التفريق بين القرية والمدينة .

من هنا يتضح لنا جلياً أن المقدسي قد عز عليه أن يرى المصنفات وقد اهملت المدن أو لم تجد لها ترتيباً أو تصنيفاً يعرف منه مراكز المدن واحجامها واهميتها فيقول (وخولناه بوصف المدن لمعان شتى وذكرنا الشؤون لفوائد لا تحصى ... ثم فصلنا كوركل إقليم ونصبنا ابصارها وذكرنا عصباتها ورتبنا مدنها واجنادها بعدما مثلناها)[1] ، ولكي يوفق في مسعاه فقد ابتكر نظامين للعمل :

الأول : من الاعم نحو الأخص وفيه قد قسم منطقة الدراسة أو مملكة الإسلام إلى أربعة عشر اقليماً .

أ- الأقاليم العربية :

١- إقليم جزيرة العرب ، وهو اربع كور هي الحجاز واليمن وعمان وهجر وقصبتها مكة وزبيد وصحار والاحساء على التوالي .
٢- إقليم العراق ، ست كور هي بغداد والبصرة والكوفة وواسط وحلوان وسامراء قصباتها بغداد والبصرة والكوفة وواسط وحلوان وسامراء على التوالي .
٣- إقليم أقور ، ثلاث كور قسمت على بطون العرب وهي ديار ربيعة وديار بكر وديار مضر وقصباتها الموصل وآمد والرقة على التوالي .
٤- إقليم الشام ، ست كور هي قنسرين وحمص ودمشق والأردن وفلسطين والشراة وقصباتها حلب وحمص ودمشق وطبرية والرملة وحضر على التوالي .

---

[1] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١٨٠ .

٥- إقليم مصر ، سبع كور هي الجفار والجوف والريف والإسكندرية والصعيد ومقدونيا والواحات وقصباتها الفرما وبليس والعباسية والإسكندرية وآسوان والفسطاط والواحات لم يذكر لها قصبة على التوالي .

٦- إقليم المغرب ، ثمانية كور هي برقة افريقية وتاهرت وسلجماسة وفاست والسوس الأقصى وسقليا والاندلس وقصباتها على التوالي برقة والقيروان وتاهرت وسلجماسة وفاس وطرخانة وبلرم وقرطبة[١] .

ب- الأقاليم العجمية :

١- إقليم المشرق ، وهو جانبان يفصل بينهما نهر جيحون .

أ- جانب هيطل أو ما وراء النهر ، ست كور هي فرغانة واسبيجاب واشروسنه والشاش والصفد وبخارى وقصباتها على التوالي اخسيكت واسبيجاب وبنجكت وبنكث وسمرقند ونموجكت .

ب- جانب خراسان ، تسع كور هي بلخ وطخارستان وغزنين وبست وسجستان وهراة وجوزجانان ومر والشاهجان ونيسابور وقصباتها بلخ وطخارستان وغزنين وبست وزرنج وصراة واليهودية ومرو الشاهجان وايران شهر على التوالي .

٢- إقليم الديلم ، خمس كور هي قومس وجرجان وخبرستان والديلمان والخزر وقصباتها هي الدافعان وشهرستان وآمل وبروان واتل على التوالي .

---

[١] المصدر نفسه ، ص١٨٠ .

٣- إقليم الرحاب ، ثلاث كور هي الران وارمينية وأذربيجان وقصباتها برذعه ودبيل واردبيل على التوالي .

٤- إقليم الجبال ، ثلاث كور هي الري واصفهان وهمدان وقصباتها على التوالي الري واليهودية وهمدان .

٥- إقليم خوزستان ، سبع كور هي السوس وجنديسابور وتنتشر وعسكر فرام ورام هرمز والاهواز والدورق وقصباتها على التوالي السوس وجنديسابور وتستر وعسكر مكرم ورام هرمز والاهواز والدورق .

٦- إقليم فارس ، ست كور هي ارجان وارد شير خرة ودار بجرد وشيراز وسابور واصطخر وقصباتها ارجان وسيراف ودار بجرد وشيراز وشهرستان واصطخر على التوالي .

٧- إقليم كرمان ، خمس كور هي برد سير ونرماسير والسيرجان وبم وجيرفت وقصباتها بردسير والسيرجان وبم وجيرفت على التوالي .

٨- إقليم السند ، ست كور هي مكران وخوران والسند ويهند وقنوج والملتان وقصباتها بخيور وقزدار والمنصورة وويهند وقنوج والملتان على التوالي .

وقد جعل المقدسي إقليم المغرب مشابهاً لإقليم المشرق فكل واحد منهما جانبان ، فكما أن المشرق يتكون من خراسان وهيطل يفصل بينهما نهر جيجون فكذلك المغرب يتكون من جانب المغرب والاندلس يفصل بينهما بحر الروم[١] .

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١٨٠ .

والنظام الثاني : هو تصنيف المدن وفق معيار معين بحسب الأهمية وفيه يقول (اعلم أنا جعلنا الابصار كل الملوك والقصبات كل الحجاب والمدن كالجند والقرى كالرجالة)[1] .

وفي ضوء هذا المعيار أوجد الامصار والعواصم ومن ثم القصبان وهي تمثل العواصم الإقليمية ومن ثم المدن الإقليمية واخيراً القرى ، ووفق هذا التقسيم اتبع منهجيته التي تقوم على ذكر خصائص الإقليم وموقعه ومن ثم تعداد الكور في الإقليم وذكر المدن الواقعة في كل كورة مع بيان قصبة الكورة أو عاصمتها وذكر النواحي والقرى في كل كورة .

وفي ضوء ما سبق يضع المقدسي مجموعة من الشروط والخصائص للمدينة العربية وهذه الخصائص على نوعين :

أولاً – خصائص خاصة : وهي التي يتميز بها المصر وهي :

١- وجود السلطان وهو الأمير أو السلطان الأعظم (الخليفة) الذي يتولى شؤون الرعية والبلاد وقيادة الجيوش والدفاع عنها .
٢- وجود الدواوين : وهي اشبه ما تكون بالوزارات في زمننا الحاضر إذ كانت توجد العديد من الدواوين منها ديوان الجند وديوان الخراج وديوان البريد وديوان المظالم وديوان النهر وديوان الرسائل وغيرها .
٣- المسجد الجامع : التي تقام فيه صلاة الجمعة وهو يمثل المركز الديني ، الذي تقام فيه الحدود بوجود القاضي وهو بذلك يمثل مركز شرعي وقضائي .

---

[1] المصدر نفسه ، ص١٨١ .

٤- أنه بلد جليل تضاف إليه مدن الإقليم أي أنه فسيح الأرض وكثير السكان واسع الرساتيق ، أي منطقة زراعية تمد المصر بأحتياجاته الاقتصادية .

٥- التحصين : بوجود قوة عسكرية قادرة على حمايته فضلاً عن وجود السور والقلعة والحصن والابواب أي أنه ذو خطوط دفاعية متينة .

ثانياً – الخصائص العامة : وهي الخصائص التي يتواجد بعضها أو كلها في جميع المدن العربية سواء كانت أمصاراً أم قصبات أم مدن أم قرى وهي التي تميز المدنية العربية عما سواها وهذه الخصائص هي :

١- الجامع أو المسجد : أن كلمة مسجد تعني حرفياً الارتماء اجلالاً وهي مأخوذة من اللغة الارامية ، وفي النبطية تعني مكان التعبد أو العبادة وهي في اللغة العربية مأخوذة من الارامية أو أنها تشكلت مستقلة ، والمسجد أو الجامع هو مركز الاشعاع الديني ورمزه في المدينة وهو القلب الروحي فيها وهو لا يتوسطها عمرانياً فقط بل يتوسط الفكر الديني الإسلامي كله فيها[١] .

ولأهمية المسجد فأن المقدسي يبتدأ دائماً في وصف المدن بذكر المسجد أو الجامع من حيث الموقع والعمارة والسعة والزخرفة والنظافة ومجالس العلم والقضاء والشعائر الدينية التي تؤدى فيه حيث يمثل المركز السياسي والقضائي والثقافي .

---

[١] كمال عبد الله ، المصدر السابق ، ص١٨٧ .

٢- السوق : يشكل السوق معلماً مهماً من المعالم في المدينة العربية ، إذ تتركز فيه اغلب النشاطات التي يؤديها السكان ، وهو ملتقى جميع الطبقات من الأغنياء أو الفقراء والمثقفون والتجار والحرفيون والصناع وغيرهم وهو في العادة يتوسط المدينة أو يكون مجاوراً للمسجد .

٣- الحمامات : أن انشاء هذهِ الحمامات كان من منطلقين الأول هو أن الدين الإسلامي الحنيف يدعوا إلى النظافة والثاني هو أن نسبة عالية من البيوت كانت تخلو من الحمامات مما يدفع إلى ارتياد هذهِ المنشآت الخدمية[١] .

ثانياً – معايير التقسيم :

مما سبق يمكننا ملاحظة مجموعة من المعايير التي استخدمها المقدسي في عملية التقسيم الإقليمي وقد اختلفت هذهِ المعايير ما بين طبيعية وأخرى بشرية ، كما اختلف في درجة أهميتها ، إلا أنها رغم ذلك تمثل نسيجاً مشتركاً في عملية التقسيم ، غذ تتداخل في الفهم والوصول إلى الغاية المنشودة من الكتاب .

وأن اغلب من كتب عن المقدسي أو أشار إليه في كتابات يورد أن المقدسي اعتمد في تقسيمه على ثلاثة عوامل أساسية هي الدين واللغة والعامل الإداري أو السياسي ، إلا أننا نؤكد انه اعتمد اكثر من هذه العوامل ، والتي قد لا يعدها البعض عوامل تقسيم أما الباحث فيعدها عوامل تقسيم مادام الهدف منها تقسيم أقاليم المملكة[٢] ، وهذهِ العوامل هي:

١- الدين :

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١٨٩ .

[٢] إبراهيم احمد سعيد ، المصادر السابق ، ص١٥٠ .

أول المعايير التي اعتمدها المقدسي في عملية تقسيمه الإقليمي ، وفي ضوء هذا العامل قسم منطقة الدراسة إلى قسمين الأول – مملكة الإسلام والثاني – مملكة الكفار وتم اختيار مملكة الإسلام منطقة الدراسة وفي ذلك يقول (ولم نذكر الا مملكة الإسلام حسب ولم تتكلف ممالك الكفار لأننا لم ندخلها ولم نرى فائدة من ذكرها بل قد ذكرنا مواضع المسلمين منها)[١] .

٢- اللغة : بعد أن حدد منطقة الدراسة في ضوء المعيار الأول عاد ليوجد معياراً ثانياً قسّم عن طريقة مملكة الإسلام إلى قسمين معتمداً على اللغة معياراً للتقسيم .

والسبب في ذلك هو اتساع رقعة المملكة جغرافياً ، فكون الدين الإسلامي دين رحمة وتألف ومحبة وإخاء ، فكان اسرع الأديان انتشاراً بعدد اقل من الرجال[٢] ، وهنا يقسم المقدسي المملكة إلى أربعة عشر اقليماً ستة عربية وثمان اعجمية والاقاليم العربية هي جزيرة العرب ثم العراق ثم أقور ثم الشام ثم مصر فالمغرب والاقاليم الاعجمية أولها المشرق ثم الديلم اعجمية أولها المشرق ثم الديلم ثم الرحاب ثم الجبال ثم خوزستان ثم فارس ثم كرمان ثم السند .

٣- الأساس الإداري : لا يجد الباحث نفسه مبالغاً إذا ما عد كتاب المقدسي كتاباً في جغرافية المدن بالدرجة الأساس وكتاباً في الجغرافية بالدرجة الثانية ، رغم أنه يعد موسوعة جغرافية بكل معنى الكلمة .

---

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص١٩٠ .

[٢] المصدر السابق ، ص١٩٠ .

٤- العامل الطبيعي : اعتمد المقدسي على العامل الطبيعي في أكثر من مواضع اساساً للقسيم ، إذ كان لمظاهر السطح دورها في إعطاء الأقاليم صفتها فتباين بين أقاليم جبلية واقاليم صحراوية وأخرى سهلية وأخرى جمعت بين أكثر من نوع وقد ابدى المقدسي ابداعاً كبيراً في وصف المظاهر الطبيعية ، ومن العوامل الطبيعية التي اعتمد عليها المقدسي في تقسيماته هو عامل المناخ[١] .

٥- الأساس البشري : اعتمد المقدسي هذا المعيار في تقسيمه لإقليم اقور فكان التقسيم معتمداً على بطون العرب التي تسكن الإقليم .

٦- الوظيفة : يمكننا أن نظيف إلى المعايير السابقة معيار آخر خاص بالمدن إلا وهو الوظيفة التي تقدمها المدينة ، إذ يمكننا أن نكتشف مجموعة من الوظائف التي تقوم بها المدن من خلال الاطلاع على كتاب المقدسي ، وهذه الوظيفة قد تكون طغت على بعض المدن حتى عرفت لها فهناك مدن تجارية وأخرى ثقافية ومدن نقل ومواصلات ومدن دفاعية ودينية وزراعية وغيرها الكثير .

مفهوم المدينة :

تقسم المفاهيم إلى :

أ- المفهوم الفقهي للمدينة ، فبشر إلى أن الفقهاء جعلوا المصر ((كل بلد جامع يقام فيه الحدود ويحله أمير ويقوم بنفقته ويجمع رشاقة مثل عثر ونابلس))[٢] .

---

[١] إبراهيم أحمد سعيد ، المصدر السابق ، ص١٥٠ .

[٢] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٢٠٠ .

ب- المفهوم العامي أو المتعارف عليه عند الناس فيقول ((والمصر كل بلد جليل))[١] ، ونجد استخدام كلمة عامة للمدينة يكون بجميع المدن دون تمييز .

ج – المفهوم اللغوي للمصر فيقول ((المصر كل ما حجز بين جهتين مثل البصرة والرقة))[٢] .

الخرائط عند المقدسي :

سبق وأن اشرنا إلى أن المقدسي يمثل آخر رواد المدرسة الكلاسيكية في الجغرافية العربية وأن علاقته بهذهِ المدرسة ينعكس في الخرائط اكثر منها في المتن نفسه[٣] .

لقد مثلت هذهِ المدرسة اتجاهاً خاصاً جديداً وقائماً في ظل الجهود الخالصة من جهود الجغرافيين العرب الإسلاميين .

لقد امتازت خرائط المقدسي بميزتين مهمتين هما :

١- أنهُ جعل الشمال إلى الأعلى عكس سابقته ، الذين جعلوا الجنوب أعلى الخريطة والشمال إلى الأسفل .
٢- أنهُ استخدم الألوان على غرار ما تستخدمهُ اليوم في خرائطها .

---

[١] المصدر نفسه ن ص٢٠٠ .

[٢] إبراهيم احمد سعيد ، المصدر السابق ، ص١٦٠ .

[٣] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٢٠١ .

أنهُ عملية الرسم لهذهِ الخرائط استندت إلى ثلاثة مصادر رئيسية :

١- الخرائط والصور التي اطلع عليها الجغرافيون السابقون وغيرهم .
٢- خرائط الملاحين والمرشدات البحرية .
٣- المشاهدة والمعاينة الشخصية .

فقد قام المقدسي برسم عشرين خريطة ، واحدة للعالم وأنه لم يشر إليها وخمسة عشر للأقاليم وأثنان للبحار .

وهي كالآتي :

١- خريطة العالم : لم يشير المقدسي طرحته إلى رسم خريطة العالم كما فعل سابقوه ولذلك اختار كل من كتب المقدسي وتناول خرائطه وذلك لأن خرائطه لم تصلنا مع كتاب كما اشرنا سابقاً[١] .
٢- خريطة البحر الصيني وبحر الروم .
٣- خريطة جزيرة العرب .
٤- خريطة العراق .
٥- خريطة أقور .
٦- خريطة بلاد الشام .
٧- خريطة مصر .
٨- خريطة المغرب .
٩- خريطة المشرق .
١٠-خريطة بادية العرب .

---

[١] المصدر نفسه ، ص٢٠١ .

١١-خريطة الديلم .

١٢-خريطة الرحاب .

١٣-خريطة الجبال .

١٤-خريطة خوازستان .

١٥-خريطة فارس .

١٦-خريطة كرمان .

١٧-خريطة السند .

١٨-خريطة المفازة .

أن خرائط المقدسي لم يأتي من فراغ بل أنها اعتمدت على خرائط متفردة كل منها :

١- صورة وجدت لخزانة ملك الشرق على كاغدة مصورة مثال مربع .

٢- صورة على كراسة عند أبي القاسم الانماطي في نيابور مربعة .

٣- صورة لإبراهيم الفارسي (الاصخطري) .

٤- صورة النسيج في اليمن .

وقد تميز المقدسي باستخدام الألوان فهو يمثل الظاهرات ويعطي لكل ظاهرة لون محدد كما في البحار والبحيرات والانهار والجبال[١] .

[١] كمال عبد الله حسن ، المصدر السابق ، ص٢١٠ .

الاستنتاجات :

من خلال ما تم طرحه يمكن أن نصل إلى نتيجة مفادها أن المقدسي رغم أنه لم يكن أول من استعمل المنهج الإقليمي إلا أنه كان رائداً في مجال الجغرافية الإقليمية ، لقد خلص البحث إلى مجموعة من النتائج هي :

١- أن المنهجية التي اتبعها المقدسي في كتابه احسن التقاسيم في معرفة الأقاليم وطريقة تقسيمه لأبواب الكتاب ، أكسبت المقدسي اصالة تميز بها . فهو يسير وفق خطة علمية مدروسة ابتدأت بذكر الهدف والدوافع التي أدت إلى تأليف الكتاب .

٢- أن المقدسي بكتابه هذا اختتم بكل جداره مدرسة تميزت بالإصالة والتفرد إلا وهي المدرسة الكلاسيكية أو مدرسة (البلاذنين العرب) التي مثلها (القرن الرابع الهجري – العاشر الميلادي) قمة نضوج الجغرافية العربية .

٣- أن الأسلوب الذي اعتمده المقدسي في جمع معلوماته بشقيها والنظري والميداني ميزته كباحث جغرافي أكثر منه تأريخ ، كل ذلك كان من نتيجة أن يضع المقدسي على اعتاب الطريقة العلمية الصحيحة في الكتابة الجغرافية .

٤- تميزت كتابات المقدسي بتعدد الفروع الجغرافية التي تطرق إليها ما بين الجغرافية الطبيعية والجغرافية البشرية ، إلا أن نسبة ما كتب عن الجغرافية البشرية وفروعها قد فاق نسبة ما كتب عن الجغرافية الطبيعة .

٥- قدم لنا المقدسي معلومات وافية عن الجغرافية البشرية كالخصائص الديموغرافية من دين ولغة واجناس ومحاصيل زراعية وطرق الري والصناعات والتجارة وطرق النقل وغيرها .

٦- عني المقدسي عناية خاصة بالمدن وترتيبها حسب الحجم والاهمية على أقاليم المملكة حتى يمكننا القول أن الهدف الرئيس من الكتاب هو دراسة المدن .

٧- تميز المقدسي بإدراكه الواسع لمفهوم الإقليم فهو لديه وسيلة لتحقيق الهدف وليس هدف بحد ذاته فكان القصد من تقسيم المملكة إلى أقاليم هو تحقيق الفهم والإدراك ودراسة ومعرفة كل ما يتعلق بالمملكة .

٨- لم يختلف المقدسي عن سابقيه من الجغرافيين البلدانيين في استشعار أهمية الخريطة بالنسبة للجغرافي بل تعددت أهمية الخريطة عن المقدسي فقد استعاض بها في غير مكان لتوضيح ظاهرة جغرافية ما دون الحاجة إلى أن يوضح هذه الظاهرة .

التوصيات :

١- ضرورة زيادة الاهتمام بالفكر الجغرافي العربي الإسلامي فهو ارثنا الحضاري الذي نفتخر به وهذا يتم من خلال إقامة الندوات والمؤتمرات العلمية داخل الجامعات والكليات وتشجيع الطلبة على حضور هذهِ المؤتمرات .

٢- أن مادة الفكر الجغرافي تدرس في مرحلة واحدة من مراحل اعداد طلبة البكالوريوس في اقسام الجغرافية ، وفيها يتم دراسة كل مراحل تطور الفكر الجغرافي منذ نشأة الإنسان وحتى وقتنا الحاضر ، فكيف يتم التركيز على تراثنا الإسلامي لذلك نوصي باستخدام مادة جديدة تعنى بالجغرافيين العرب والمسلمين تكون مرادفة لمادة الفكر الجغرافي على أن تدرس في مراحل أخرى .

٣- إعادة طبع ونشر وتوزيع كتب الجغرافيين العرب والمسلمين لتكون في متناول كل شخص راغب بالاطلاع وانتشال هذهِ الكتب من رفوف المكتبات واقسام المراجع التي أصبحت حكراً عليها .

٤- يوصي الباحث بترجمة وإعادة طبع كتب الخرائط العربية للعلماء لأنها ذات قيمة علمية عظيمة بدل اقتصاره على نسخة واحدة بالية حوتها مكتبة المتحف العراقي.

قائمة المصادر :

- القرآن الكريم .

١- إبراهيم احمد سعيد ، اسهامات المقدسي في الجغرافية الإقليمية ، مجلة الدراسات التاريخية ، العددان ١١٧ – ١١٨ ، دمشق ، سوريا ، ٢٠١٢ .

٢- الانترنيت www.google.com .

٣- باسم عبد العزيز العثمان ، الفكر الجغرافي القديم والإسلامي ، دار الوضاح للنشر ، ط١ ، ٢٠١٥ .

٤- شمس الدين أبو عبد الله محمد بن أحمد المقدسي ، أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم ، بيروت ، لبنان ، ط١ ، ٢٠٠٣ .

٥- صباح محمود محمد ، دراسات في التراث الجغرافي العربي ، دار الرشيد للنشر ، بغداد ، العراق ، ١٩٨١ .

٦- صبري فارس الهيتي ، الفكر الجغرافي نشأته ومنهاجه ، دار الصفاء للنشر ، ط١ ، عمان ، الأردن ، ٢٠٠٥ .

٧- فتحي محمد أبو عيانة ، دراسات في التراث الجغرافي العربي ، جامعة الإسكندرية ، ط٤ ، ٢٠٠٥ .

٨- فيدال دي لابلاش ، أصول الجغرافية البشرية ، ترجمة شاكر خصباك ، منشورات جامعة بغداد ، ١٩٨٤ .

٩- كمال عبد الله حسن ، أصالة الجغرافية الإقليمية عند المقدسي ، جامعة المستنصرية ، رسالة دكتوراه (كلية التربية) ، ٢٠٠٦ .

١٠- محمد أزهر السماك ، وعباس التميمي ، أسس الجغرافية صناعة وتطبيقاتها ، بغداد ، ١٩٨٧ .